دير سانت كاترين بسيناء ملتقى الأديان

أ.عبدالرحيم ريحان بركات*

١- تاريخ الدير

تاريخ الإنشاء

يوجد فوق باب الدير الحالى نص تأسيسى يونانى وترجمة له باللغة العربية(لوحة٣) على لوحين من الرخام والنص العربى مكون من ستة أسطر كالآتى :

١ – أنشأ دير طور سيناء وكنيسة جبل المناجاة الفقير إلى الله الراجى

٢ – عفو مولاه الملك المهذب الرومى المذهب يوستنيانوس

٣ – تذكاراً له ولزوجته ثاوضوبره على مرور الزمان حتى يرث

٤ – الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وتم بناؤه بعد

٥ – ثلاثين سنة من ملكه ونصب له رئيس اسمه ضولاس جرى ذلك

٦ – سنة ٦٠٣١لآدم الموافق لتاريخ السيد المسيح سنة ٥٢٧

ويذكر نعوم شقير(أن هذين الحجرين وضعا فوق الباب فى القرن الثانى عشر أو الثالث عشر الميلادى عند فتح باب الدير الجديد على الارجح وفيهما غلطان تاريخيتان، الأولى أن أول رئيس للدير هو الأب لونجينيوس وليس ضولاس، الثانية أن الملك يوستينيانوس لا يمكن أن يكون قد أتم بناء الدير سنة ٥٢٧ م لأن هذه السنة هى بدء ملكه، وكان مشغولاً بالحروب كما هو ثابت فى التاريخ، وإذا صح أنه أتمه بعد ثلاثين سنة من ملكه كما هو فى النص التأسيسى فيكون قد تم سنة ٥٥٧م، ولكن مؤرخى الدير يرجحون لاعتبارات شتى أن الدير قد تم بناؤه فى السنة الأربعين إلى الخمسين بعد الخمسماية، لذلك قدّرنا بناءه فى نحو سنة ٥٤٥م)[١]

وينقل Clayton عن رهبان دير سانت كاترين قولهم بأن هذا الحجر كان قبل ذلك فوق كنيسة العليقة حيث وضعته القديسة هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين ويرى أن هذا خطأ لأن تاريخ النقش يعود للقرن السادس الميلادى ويرى أنه وضع بواسطة جستنيان[٢] وهناك نقش باليونانية على أحد عوارض السقف بكنيسة التجلى وترجمته كالآتى:(لأجل تحية ملكنا التقى جوستنيان العظيم لأجل إحياء ذكرى وراحة ملكتنا

---

* مدير منطقةآثار ذهب – جنوب سيناء

١ – نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها، دير سانت كاترين، ١٩٩٥، ص ٢٢٦.

2 – Clayton(R.): Journal From Aleppo To Jerusalem , London , 1810, pp..239 – 240.

ثيودورا) ولقد أنشأ جستنيان هذا الدير لإحياء ذكرى زوجته ثيودورا، وتاريخ وفاة ثيودورا ٥٤٨ م، ووفاة جستنيان ٥٦٥ م[٣]
وكانت ثيودورا الزوجة المحببة لجستنيان وشاركت فى كثير من أمور الحكم وكانت مهتمة بالمناطق الشرقية من الإمبراطورية وحرصت على إقامة علاقات سلمية معهم ولقد ماتت قبل وفاة جستنيان[٤]
لذلك فمن غير المعقول أن يكون بناء الدير عام ٥٤٥م كما قدّره نعوم شقير ولا بد أن يكون قد بنى بين عام ٥٤٨م وهو تاريخ وفاة ثيودورا وعام ٥٦٥م تاريخ وفاة جستنيان،ويتضح من نقش رقم ٣ من عوارض سقف البازيليكا أن مهندس بناء الدير هو اسطفانوس من أيلة وهذا نصه(أيها الرب الذى تجليت برؤيتك فى هذا المكان احفظ وارحم عبدك اسطفانوس من أيلة بانى هذا الدير)[٥]
ويوجد وثيقة بمكتبة دير سانت كاترين رقم SCM- 224 (لوحة ١) كتبت بعد عام ٨٨٣م، عن إنشاء دير سانت كاترين باللغة العربية هذا نصها :
(لما كان فى ولاية الملك يوستنيانوس على مدينة القسطنطينية سمعوا رهبان طور سيناء حسن ديانة الملك ومحبته لبنيان الكنائس والديارات ساروا إليه وشكوا حالهم من عرب بنى اسمعيل بينكدوا عليهم فقال لهم الملك فما تريدون فقالوا له نسأل [illegible] عز ملكك أن تبنى لنا دير نتحصن فيه لأن قبل ذلك لم يكون فى طور سيناء دير يجتمع فيه الرهبان لأنهم كانوا متبددين فى الجبال والأودية حول الباطش أعنى العليقة حيث كلم الله تعالى موسى لما ظهر الله له فى العليقة وكان قرب العليقة برج كبير مبنى وهو إلى اليوم قايم وكان إذا جاهم الرهبان أمر يخافوا منه اجتمعوا وتحصنوا فى ذلك البرج فارسل الملك معهم مرسال وزوده من المال وكتب الى حاكم ووالى مصر ان يدفع الى المرسال (الرسول) بما يسال (يسأل) وان يعينه بالرجال ويحمل اليه من مال الميرى بمصر وامر المرسال ان يبنى دير بالقلزم ودير راية ويبنى دير طور سيناء ويحصنه حتى لا يكون فى العالم دير احصن منه ولا يكون على الدير موضع ينخاف عليه ويصير منه ضرر على الرهبان فلما وافا (وافى) المرسال بنا (بنى) كنيسة مارى اثناسيوس وبنا دير راية وسار الى طور سينا فاصاب العليقة بين جبلين مضيق والبرج مبنى قرب العليقة والرهبان متفرقين فى الجبال والأودية فهم أن يبنى الدير فوق الجبل ويترك موضع البرج والباطش ففكره من اجل الماء فان ليس فوق الجبل ماء فبنا الدير على الباطش موضع البرج والبرج داخل الدير والدير بين جبلين خلاف الجبل الشرقى فى مضيق لو صعد احدا فوق راس الجبل الشمالى ورما حجر

3 -Tomadakis(N.): Historical Outline, In - Treasures Of The Monastery Of St. Catherine, Athens , 1990 ,p. 13.
4-Vasiliev(A.A.): History Of The Byzantine Empire(324 – 1453 AD) , Madison , 1952 , p. 132.

وقع فى الدير وان ما (وانما) بنى الدير فى ذلك المضيق من اجل العليقة المقدسة والاثار الشريفة ولاجل الماء وبنا كنيسة فى راس الجبل اعنى جبل المناجاه موضع الذى اخذ موسى التوراه وكان اسم ريس الدير دولاس. ولما رجع المرسال الى الملك يوستينيانوس اخبره بما بنا من الكنائس والديارات ووصف له كيف بنى دير طور .....(سيناء) فقال له الملك اخطأت و...على الرهبان ولمكنت منهم العدو فلم (فلما) لم بنيت الدير فوق راس الجبل فقال له انما بنيت على الباطش وقرب الماء ولو بنيت الدير.....(على رأس الجبل) لكان بتا (لكان بقى) الرهبان بلا ماء وحاصرهم.....(عدو) ومنعهم عن الماء ماتوا عطشا وكان الباطش ايضا بعيدا منهم فقال له الملك كنت ددكت (ككت) الجبل الشمالى المطل على الدير لئلا يكون على الرهبان منه ضررفقال المرسال لو انفقت لموال ارض الروم والشام ومصر ما يكفى ان يددكد ذلك الجبل فغضب الملك وامر بضرب عنقه وترك معه مرسال ووجه معه ماية رجل من عبيد الروم مع نسايهم (نسائهم) وصبيانهم وامر ان يؤخذ من مصر ماية رجل ايضا من العبيد مع نسايهم (نسائهم) وصبيانهم وبنا لهم خارج دير طور سيناء بيوت يسكنون فيها ليكونوا يخدمون ويحرسون الدير والرهبان ويجرى عليهم الارزاق ويحمل من ديوان بولاق من الميرى من كل للرهبان الدير بما يعينهم فلما اوفا المرسال من الملك الى طور سيناء...(امر) الدير شرقيا منازل كثيرة وحصنها بحصن واسكن فيها العبيد وكانوا يخدمون الدير ويحفظونه يسما (يسمى) الى هذا الوقت داير العبيد فلما تولدوا وكثروا وطال على الزمان منهم الاسلام فى خلافة عبد الملك ابن مروان غار بعضهم على بعض وقتلوا بعضهم بعض وفيهم من قتل ومنهم من هرب ومنهم من اسلم واولادهم الى هذا الوقت مسلمون و..... الدير الى اليوم ومنهم اللحميون[٦] وخربوا الرهبان منازل العبيد بعد ان اسلموا وغاروا على بعضهم وافترقوا ليلا يسكن فيها احد وبقى الى اليوم خراب. وقالوا لهم الريس والرهبان رواحوا اسكنوا فين .....ما عزناكم فى خدمة الدير عيطنا[٧] لكم[٨].

ونستخلص من هذه الوثيقة أن الرهبان كان لهم برج يلجئون إليه قبل بناء الدير، وأن الرهبان فى منطقة الجبل المقدس ناشدوا جستنيان أن يبنى لهم دير فكلف مبعوث خاص، له سلطات كاملة وتعليمات مكتوبة ببناء دير فى القلزم (السويس حالياً) ودير فى راية بطور سيناء ودير على جبل سيناء، ولقد بنى هذا المبعوث كنيسة القديس أثاناسيوس فى القلزم والدير فى راية وهو الدير الذى اكتشفته منطقة جنوب سيناء فى قرية الوادى وأطلقت عليه دير الوادى ولأن هذه المنطقة التى تشمل دير الوادى والآثار المسيحية بوادى الأعوج المجاور للدير هى منطقة رأس راية المقصودة فى هذه الوثيقة وليست المنطقة التى تسمى رأس راية حاليا والتى سميت بهذا الاسم نسبة إلى ضريح الشيخ راية ولا علاقة لها بأى آثار مسيحية، أما عن بناء دير سانت كاترين فى الوثيقة

يوضح أنه عندما ذهب مبعوث جستنيان لجبل سيناء وجد أن شجرة العليقة فى مكان ضيق بين جبلين ووجد بجوارها برج وعيون ماء، وكان هدفه بناء دير على الجبل ليترك الشجرة المقدسة والبرج كما هما، ولكن عدل عن ذلك لعدم وجود مياه أعلى الجبل وصعوبة توصيل مياه إليه، وبنى الدير قرب العليقة وشمل داخله البرج وكان بذلك قرب مصادر المياه، وعندما عاد مندوب جستنيان إليه وحكى له أين وكيف بنى الدير قال له أنت مخطئ لماذا لم تبنى الدير أعلى الجبل ؟ أنت بذلك وضعت الرهبان فى يد الأعداء وأجابه المندوب أنه بنى الدير قرب مصادر المياه لأنه لو بناه أعلى الجبل وتم حصار الرهبان سيموتون عطشاً وأنهُ بنى الدير قرب شجرة العليقة، ويذكر Mayerson أن مندوب جستنيان بنى كنيسة صغيرة أعلى الجبل فى المكان الذى تلقى فيه نبى الله موسى عليه السلام ألواح الشريعة[٩].

وفى الوثيقة رقم ٦٩٢ باللغة العربية المحفوظة بمكتبة دير سانت كاترين تذكر أن إمبراطور الروم أرسل حوالى مائتين من العبيد مع نسائهم وأولادهم من منطقة البحر الأسود ومن مصر للقيام بحماية الدير ورهبانه ومايزال أحفادهم بسيناء حتى اليوم ويقوم الرهبان بإطعامهم من خيرات الوديان المبعثرة هنا وهناك بينما يتولون هم حمايتهم[١٠]، وينقل Mango عن افتخيوس Eutychius (وهو بطريرك الإسكندرية الذى عاش فى العصر الميلادى وكتب باللغة العربية ويشتهر باسم ابن البطريق) أن جستنيان لم يعجبه رأى مبعوثه الذى بنى الدير فى وادى ضيق يشرف على الجبل من الناحية الشمالية، فأمر بقطع رأسه وحاول إصلاح ضعف الدير من الناحية الدفاعية فأرسل مائتى عبد بعائلاتهم لسيناء كحراس دائمين للدير وبنى لهم أماكن خاصة خارج الدير تقع شرق الدير وعندما جاء الإسلام دخل هؤلاء الحراس فى الإسلام فقام الرهبان بتدمير مساكنهم وأن هذه المنازل باقية حتى اليوم وكانت مبنية من كتل من الجرانيت المحلى[١١] ويذكر Gibson أن جستنيان أرسل مائة عائلة لحراسة الدير وأمر بإرسال مائة أخرى من مصر وعين عليهم ضولاس كحاكم عليهم[١٢].

وعلى أية حال فإن خدم الدير حالياً من قبيلة الجبالية وهم أحفاد الجنود الرومان والمصريين الذين كانوا يقومون بحراسة الدير فى القرن السادس الميلادى[١٣]وعرفوا بالجبالية نسبة إلى جبل موسى[١٤].

وقد جعل جستنيان راتباً مستديماً للدير، وهو قدحاً من كل أردب من كل الحبوب قمح وشعير وعدس وغيرها من أجل مؤنة الرهبان وقد أقر هذا الراتب بعد ذلك محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام كما هو مثبت فى عهد الأمان[١٥] ورغم أن الدير أنشأ عام ٥٦٠م كما يذكر بروسوبيوس، إلا أن رهبان الجبل المقدس لم يسكنوه بعد بنائه مباشرة بل ظلوا فى المغاور والكهوف حول الدير إلى أن انتقل مركز الأبرشية من

فيران إلى دير طور سيناء (دير سانت كاترين) بعد عام ٦٤٩م، وأصبح رئيس الدير مطراناً للأبرشية، ولقبه مطران دير طور سيناء وفيران ورايا[١٦]

وكان الرهبان المقيمين فى طور سيناء تابعين لأبرشية فيران منذ القرن الرابع الميلادى وكان لهم رئيس خاص بهم وأول رئيس لهم هو ذولاس ٣٧٣م وأشهرهم هو الرئيس لونجينوس (٥٣٠- ٥٨٠م) وفى أيامه أرسل الرهبان وفداً منهم إلى الملك جستنيان، وبنى الدير فى عهده، وصورته موجودة فى قبة هيكل الكنيسة الكبرى[١٧]

أسباب البناء

لم ينشأ جستنيان الدير على أساس دينى صرف، ولكنه جزء من خطته الحربية[١٨] فلقد قام ببناء تحصينات على الحدود الشرقية للإمبراطورية من حدود سوريا إلى شمال أفريقيا لتحمى طرق التجارة ضد قبائل الصحراء والجبال الوعرة، ونماذج الحصون هذه أصبحت هى النموذج للأديرة الكبيرة حتى ولو لم تكن هناك ضرورة حماية عسكرية للمكان[١٩] وإن كان السبب المباشر لبناء دير سانت كاترين هو الإستجابة لمناشدة الرهبان حول الجبل المقدس ولكنه وجدها فرصة لتحقيق أهدافه الأبعد من ذلك وهى:

١- تأمين الحدود الشرقية للإمبراطورية[٢٠] والدفاع عن مصر ضد أخطار الفرس، لذلك حرص على تحصين مداخل سيناء وبنى ... نقاط للحراسة على رؤوس التلال الهامة بين العريش ونخل بوسط سيناء[٢١]

٢ - تأمين طرق المواصلات بين مصر وفلسطين وإعاقة أو تأخير أى هجوم على فلسطين حيث كانت تنقل البضائع من أثيوبيا إلى فلسطين عن طريق سيناء[٢٢]

٣ - العمل على نشر المسيحية[٢٣]

القديسة كاترين

بنى جستنيان الدير وخصص للعذراء مريم[٢٤] وفى القرن التاسع الميلادى أطلق على الدير دير القديسة كاترين والقديسة كاترين هى ابنة كوستاس[٢٥] من عائلة نبيلة بالإسكندرية، وعاشت بالإسكندرية أيام حكم الإمبراطور الرومانى مكسيمانوس ٣٠٥-٣١١م، وتحولت للمسيحية[٢٦]

ومن أجل أن ينتزعها الإمبراطور من المسيحية أصدر أوامره إلى خمسين حكيماً من حكماء عصره أن يناقشوها ويجادلوها فى سبيل دحض براهينها عن المسيحية، إلا أن جميع محاولاتهم باءت بالفشل وجاءت النتائج عكسية لدرجة أن هؤلاء الحكماء ما لبثوا

١٦- نعوم شقير : المرجع السابق، ص ٥٤٨.

19-Krautheimer (A.): Early Christian And Byzantine Architecture , Middlesex –England 1975 ., pp.272-273

.25- Skrobucha(H.): Sinai , Translated By Hunt(G.) , London : Oxford UNIV., 1966, p. 65

أن انضموا إلى صفوف المسيحية وحذا كثيرون حذوهم وكان من بينهم أقرب المقربين للإمبراطور من رجال البلاط، فلجأ مكسيمانوس لتعذيبها وأمر أن تصنع عجلات يبرز منها سامير ورؤوس سكاكين مدببة ليضعونها فيها، ولم يؤثر هذا على إيمانها مما دفع أحد الجنود لقطع رأسها[٢٧] وبعد مضى خمسة قرون على استشهادها، رأى أحد رهبان سيناء رؤيا بأن الملائكة حملوا بقايا جسدها ووضعوها فوق قمة جبل قرب الدير فصعد الرهبان للجبل فوجدوا بقايا الجثة فدفنوها فى أعلى ذلك الجبل ثم نقل الرهبان تلك البقايا لكنيسة التجلى بالدير ومن ذلك العهد سميت الكنيسة والدير باسم القديسة كاترين[٢٨] وأطلق على الجبل جبل القديسة كاترين، ووضعت بقايا القديسة فى صندوق ذهبى بمذبح الكنيسة[٢٩]

٢- عمارة الدير

إن البناء الحالى للدير أشبه بحصن، فالسور الخارجى هو سور حصن فى حقيقة الأمر لأن أكثر أجزائه السفلى المشيدة بأحجار الجرانيت ترجع إلى أيام الحصن الأول الذى شيده جستنيان والمذود بوسائل دفاعية كافية ضد من تحدثه نفسه بمحاولة تحطيم الأبواب، ويرتفع الدير عن سطح البحر ١٤٧٩م[٣٠].

١- سور الدير وأبوابه

بنى السور من أحجار صخرية قائمة الزوايا من الجرانيت الصلد أخذت حجارته من جبل الدير الجنوبى وجوانبه غير متساوية الطول، الجدار الشمالى الغربى طوله ٧٤,٨٠ م، الشمالى الشرقى طوله ٨٨م، الجنوبى الشرقى طوله ٧٤,٧٠م الجنوبى الغربى طوله ٨٠,٥٠م، وارتفاع السور ٨م جهة الغرب يتدرج حتى ٢٥م جهة الشمال، وسمك السور ٣م، وبنى الدير باتجاه شمال شرق وجنوب غرب موازى لمجرى السيل حتى لا يجرفه السيل[٣١] ولم يخترقه أى أبراج دفاعية وإنما أنشئت أربعة أبراج كتقوية بسيطة لأركان السور من الخارج وأكبرها فى الركن الشمالى الغربى، و ربما استخدم هذا البرج كبرج مراقبة، والأسوار قوية بدرجة تكفى أن يعيش الرهبان فى أمان وسبب ذلك أن مهندس البناء يبدوا أنه كان ضابطاً بالجيش البيزنطى، واشترك عدد كبير من الجنود فى البناء مما أوحى للمؤرخ البيزنطى بروسبيوس Procopios أن يذكر أن الإنشاء كان لحصن عسكرى وليس لدير[٣٢] وتعرض الدير لزلزال عام ١٣١٢م أدى لسقوط جدرانه الشرقية والغربية وبقى الركن الجنوبى الغربى سليماً عبر قرون وتم ترميم الجزء الشمالى الشرقى بعد الزلزال، ولكنه سقط مرة أخرى ودعّم القائد الفرنسى كليبر الدير بأبراج عام ١٨٠١م[٣٣]

29-Finkelstein (I.) : op.cit., p.328.

الجدار الشمالى الغربى

طول الجدار ٧٤,٨٠م وارتفاع الأجزاء الأصلية ١٠,١٣م والإرتفاع الحالى ١٤,١٨م وذلك عدا الجزء الشمالى منه الذى أعيد بناؤه، وهو مبنى من كتل مشذبة من الجرانيت وبه نوافذ عديدة ضيقة لها أعتاب بزخارف محفورة وبه ثلاث بوابات من بوابات الدير الأربعة الأصلية، البوابة الرئيسية(شكل ٢(A) رقم ٤) ويعلوها نفيس وعقد عاتق Relieving arch ونقش يونانى يقرأ:

(هذه بوابة الرب يدخل منها الصالحون) تحته اسم جستنيان، وهذا النص من عصر الإنشاء وتم إغلاق هذه البوابة بكتل الجرانيت فى العصور الوسطى والبوابة عرضها ٢م وارتفاعها متر واحد، وهناك مدخل مقبى (شكل ٢ ((Aرقم ٧) استعمل كمدخل ثانى شمال البوابة الرئيسية وسمك السور عند هذه النقطة ١,٦٥م واستمر استعمال هذا المدخل بعد غلق البوابة الرئيسية ثم أغلق فى وقت غير معلوم.

وكان يتم الدخول للدير عن طريق نفق تحت الأرض يؤدى للحديقة وظلت هذه البوابة مدخل سرى حتى القرن التاسع عشر الميلادى وتم خرقها وكسرها عام ١٨٦٠م أثناء بعض التجديدات فى الجدار الشمالى، وفى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى فتحت البوابة التى مازالت مستعملة حتى الآن عرضها متر واحد وارتفاعها ١,٥م (شكل ٢((A رقم ٦) (لوحه ٢) التى تؤدى لممر صيق وثلاث أبواب متتالية من الخشب المصفح بالحديد ويعلو هذه البوابة نقشين نقش عربى (شكل ١((A رقم ٩) (لوحة٣) يحكى قصة تأسيس الدير والآخر يونانى (شكل ٢ ((A رقم ١٠) ويعلو هذه البوابة مشكولى (شكل ٢((Aرقم٨) تؤدى هذه البوابة لممر منكسر يفضى إلى بهو يؤدى إلى منشئات الدير المختلفة.

أما البوابة الثالثة فكانت تسمى بوابة الريس أو بوابة المطران (شكل٢ ((Aرقم ١٢) وكانت تفتح فى فترات خاصة، عرض هذه البوابة ٥م وارتفاعها ٦م، ومن المحتمل أنها تعود للفترة الأولى من بناء الدير القرن السادس الميلادى والغرض منها إدخال مواد البناء للكنيسة الرئيسية أو تسهيل الاقتراب من القوافل التى تأوى للدير وتسكن فى المساحات الفارغة، والجزء العلوى من البوابة بنى بالحجر الرملى، وكان يتم إغلاق هذه البوابة بكتل حجرية ثم تفتح للضرورة، وكان مطران الدير يسكن بالقاهرة وتفتح هذه البوابة حين دخول مطران جديد قادم من القاهرة، ولم تفتح البوابة نهائياً بعد عام ١٧٢٢م وأغلقت بالأحجار والأسمنت[٣٤].

والركن الجنوبى من الجدار الشمالى الغربى يشمل نزل الضيوف وسكن المطران فى الطابق العلوى، وهو مكسو بالحجارة فى فترة متأخرة (شكل٢ ((Aرقم ١) والجزء الشمالى من الجدار أعيد بناؤه فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى من كتل الجرانيت والحجر الرملى والروابط الخشبية (شكل٢ ((Aرقم ١٣).

الجدار الجنوبى الشرقى

طول الجدار ٧٤,٧٠م، ارتفاع الجزء الأصلى من ٨ – ١١م وارتفاعه الحالى بين ١٠ – ١٧م وهو الجدار الخلفى للدير ولقد بنى على منحدر لذلك نرى قمته ومستوى النوافذ يتبع زاوية هذا المنحدر، وبوسط هذا الجدار يقع البرج المركزى وبه دورات المياه القديمة فى الجزء السفلى Lavatory من القرن السادس الميلادى والتى تم نقلها حديثاً للجزء العلوى (شكل ٢(C)رقم ٣)، ولهذه المراحيض قنوات سفلية للتصريف وجد مثلها فى فلسطين فى دير Mar saba والجزء العلوى من هذا البرج كان يستخدم حديثاً كسكن لبطاركة القسطنطينية (شكل ٢(C) رقم ٤)، ويلى هذا الجدار من الداخل قلايا الرهبان (شكل ٢(C) رقم ٥) على مستويين كل مستوى من سبع حجرات والركن الجنوبى من الجدار به نزل الضيوف فى الجزء السفلى وقاعة الأيقونات والمكتبة فى الجزء العلوى (شكل ٢(C) رقم ٦) وقرب الركن الشرقى من الجدار نلاحظ خط التدمير نتيجة سيول عام ١٧٩٨م (لوحة٤) ولقد أعيد بناؤه بواسطة عمال وبنائين مصريين أرسلهم القائد الفرنسى كليبر وهناك نقش على الرخام يوضح ذلك فى الجدار الشمالى الشرقى، ويوضح أن تكملة هذا البناء كان عام ١٨٠١م وبه تكسية متأخرة (شكل ٢(C) رقم ٢)(٢)، والسور مازال يحتفظ بالممشى الداخلى خلف الدراوى من القرن السادس الميلادى وأضيف ممشى آخر فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادى.

الجدار الشمالى الشرقى

طول الجدار ٨٨م، ارتفاعه ١٠م (لوحة٤) وتوجد بالجزء الغربى منه بوابة المصعد التى تعود للقرن السادس عشر الميلادى ويتم الوصول إليها بسلسلة كانت تعلق فى حبل، وكانت هذه هى الطريقة الطبيعية لدخول الزوار للدير حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى، ثم أصبحت تستخدم فى الأحمال الثقيلة فقط وأعيد بناء بوابة المصعد تماماً عام ١٨٦٠م مع تجديد الجدار الشمالى الشرقى، ورممت حديثاً بعد حريق عام ١٩٧١م وبالجدار نوافذ مستطيلة وقمريات، وبه نقش على الرخام يوضح أعمال الترميم التى قام بها كليبر أما الجزء الشرقى منه فقد تم تجديده بالكامل باستثناء الأجزاء السفلية[٣٥]، ويقع فى منتصف هذا الجدار برج القديس جورج وسمى بذلك لوجود كنيسة القديس جورج بداخله، ومن داخل الدير ما يزال البرج يحتفظ بالتخطيط الأصلى منذ القرن السادس الميلادى شاملاً الدراوى العلوية والممر الداخلى (لوحة٥) وحدث زلزال فى القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلادى أدى لتهدم جزء من هذا البرج وفى عام ١٧٩٨م تهدم جزء آخر من البرج نتيجة سيول شديدة وقام كليبر الذى أرسله نابليون عام ١٨٠١م بترميم البرج وفى هذا الترميم تم كساء البرج من الخارج بكسوة خارجية غيرت من شكل البرج الذى كان فى الأصل برجاً مربعاً، وفى عام

١٩٧١م تهدم الجزء العلوى من البرج شاملاً كنيسة القديس جورج نتيجة حريق ولم تصل النار للمخطوطات الموجودة بالسكيفوفيلاكيون (المكان المخصص لحفظ الأغراض الدينية من أيقونات، أوانى مقدسة، ثياب مقدسة) وتم عمل ترميمات سريعة عام ١٩٧٧م للجزء الجنوبى من كنيسة القديس جورج بعمل أرضية أسمنتية وأعيد بناء السكيفوفيلاكيون باستخدام الأسمنت، واستعملت لوقت قصير عام ١٩٨٨م كسكن مؤقت لمطران الدير ومنذ عام ١٩٨٨حتى عام٢٠٠١م استخدمت كمخزن، وتم ترميم الواجهة عام ٢٠٠١م وإعدادها كقاعة لعرض أيقونات الدير طبقاً لأساليب العرض العالمية وهى الآن متحف لأيقونات وذخائر الدير([٣٦]).

الجدار الجنوبى الغربى

وهو الجدار الأكثر حفظاً بسور الدير(لوحة٦)، طوله ٨٠,٥٠م، ارتفاع الجزء الأصلى ما بين ٦إلى ٨م وارتفاعه الحالى ١١م، السمك عند المنتصف ٢,٧٥، وتبرز الأبراج فى الأركان ووظيفتها إنشائية لتقوية الجدران وليست دفاعية، وأركان الأبراج ليست بزاوية قائمة، ويواجه هذا الجدار جبل موسى، ويقف على أرضية أكثر ارتفاعا من الجدران الأخرى لذلك سلم من الدمار الذى حدث بسبب السيول وبه صفين من النوافذ المغلقة نجت عن المبانى المضافة للدير وهى الآن مغلقة (شكل ٢(B)) ووجدت مثل هذه النوافذ الضيقة فى العمارة المدنية فى نجف بفلسطين، ولكنها استخدمت هنا لغرض حربى وذلك لأن السور من هذه الجهة يشرف على منحدرات صخرية فيسهل اقتحامه لذلك أنشئت هذه النوافذ على هيئة مزاغل سهام ليطلق المراقبين من خلالها السهام، والجزء السفلى من النوافذ قريب من مستوى الأرض بسبب المنحدر الشديد فهى على ارتفاع ٤م من مستوى الأرضية من داخل السور ولهذه النوافذ أعتاب مزخرفة بصلبان مختلفة، وبالركن الجنوبى من الجدار تكسية حجرية متأخرة (شكل٢((Bرقم ٢) ويوجد برج فى المنتصف يبرز ٨٠سم به نافذة لكنيسة صغيرة من القرن السادس الميلادى (شكل ٢((Bرقم٣) وبالركن الغربى نزل الضيوف بالدور الأول وسكن المطران بالدور الثانى (شكل B٢ رقم ٤) وبه تكسية حجرية (شكل ٢((Bرقم ٢)([٣٧])

المنشئات المقابلة للسور من الداخل

تشمل هذه المنشئات قلايا الرهبان – مخزن القمح – الطاحونة – الفرن القديم – دورات المياه – الرافعة

والقلايا مشيدة فى مقابل الوجه الداخلى للسور، خلف الجدار الشمالى الغربى، وخلف الجدار الشمالى الشرقى، ونماذج من هذه القلايا خلف الجدار الجنوبى الشرقى(شكل ١ رقم٢٥) وتتكون من مبنى مستطيل يتكون من طابقين، والدور الأرضى عبارة عن ثلاث غرف مقبية لتخزين الخمر والزيت والملح، والطابق الأول به ٧ قلايا، والطابق

الثانى به ٧ قلايا من القرن السادس عشر الميلادى وقد تمت أعمال تجديد لهذا المبنى عام ١٨٧٠م على يد الراهب غريغورس فى عهد المطران كاليستراتوس(١٨٦٧-١٨٨٥)[٣٨]

وتعتبر مزاغل السهام بالسور شبابيك لهذه القلايا، فإن هذه المزاغل تتخلل دورين وهى ضيقة فى الوجه الخارجى من السور وعريضة فى الوجه الداخلى بانساع ٦٠سم ولانعرف حجم هذه القلايا ولا سمك الجدران الداخلية التى تقسمها فلا يوجد بقايا لهذه الجدران أو أى دعامات ومن المحتمل أن جدران القلايا بنيت من الطوب الغشيم

١ - المنشئات خلف الجدار الشمالى الغربى

ويوجد خلف الجدار الشمالى الشرقى بقايا ندرج يؤدى للقلايا بالدور العلوى، وخلف الركن الجنوبى الغربى من الجدار بقايا محزن قمح وهو بناء ذو شكل مربع بمجموعة سلالم فى كل جانب ولكنه لم يستكمل.

٢ - المنشئات خلف الجدار الجنوبى الشرقى

يقع فى الركن الشمالى منه مبنى من دورين يحوى الطاحونة القديمة وفى جدارها الشرقى نافذتان ويجاور الطاحونة فرن[٣٩]

٣ - المنشئات خلف الجدار الشمالى الشرقى

توجد الرافعة الخشبية من داخل السور الشمالى الشرقى عن طريق كوة فى أعلى الحائط يغطيها صندوق من الخشب أطلق عليه نعوم شقير الباب المعلق وبجانبه بكرة من خشب لف عليها حبل متين ضخم يعرف بالدوار ترفع به الأثقال، وكان قبل ذلك لصعود الأشخاص من خارج الدير فى زمن المخاوف فيغنى عن فتح باب الدير، فكان الزوار قديماً يدخلون إلى الدير من هذا الباب ومنه أيضا يوزع الخبز على فقراء البدو[٤٠]وكانت المؤن توضع فى سلة يسحبها الرهبان لأعلى، وأنشأ هذا الونش الخشبى عام١٧٩١م[٤١]

منشئات القرن الرابع الميلادى

لم يبق شئ من الكنيسة الصغيرة والتى أخبرنا عنها رحالة القرن الرابع الميلادى التى تقع فى وادى العليقة الملتهبة والتى كانت تسمى كنيسة العذراء مريم، وربما بنيت كنيسة التجلى فى القرن السادس الميلادى فى موقعها وذلك لأن المبنى القديم كان لا يفى بحاجة المجتمع الرهبانى والذى يزيد فى الحجم، وكانت الإمبراطورة هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين قد أنشأت كنيسة وبرج صغير فى القرن الرابع الميلادى لحماية القاطنين من قطاع الطرق وتبقى هذا البرج الصغير بوسط الدير الآن و يتكون من مداميك من كتل الجرانيت الغير مشذب ويربط بينها أحجار مسطحة توضع بين المداميك، ووجدت هذه الطريقة فى كنيسة المدينة بتل المحرض بوادى فيران التى تعود للقرن الرابع أو الخامس الميلادى والتى تمثل أسلوب البناء المحلى، لذلك فبدون

شك أن بناء البرج يعود لتاريخ ما قبل جستنيان وسمك جدران البرج ما بين ١٠٠-١١٠سم، قاعدته مربعة، وبدون الإضافات التالية عليه فتخطيطه الداخلى يتكون من جزئين بحجمين مختلفين الأكبر فى الشمال و له باب بجانبه الشمالى كمدخل،وفى الجدار الأوسط باب آخر يصل القسمين أضيف فى فترة لاحقة، والارتفاع الحقيقى للبرج غير معلوم و يحتمل أنه كان ثلاثة أدوار، الجزء العلوى من البرج ذو سقف مسطح محاط بدراوى Parapets[٤٢] ويعتبر الحصن داخل سور الدير هو الملاذ الأخير بالنسبة لأمن الرهبان وسلامتهم داخل الدير إذ أن معظم الأديرة تعرضت خلال القرون الثلاثة قبل الفتح الإسلامى لمصر لحظر غارات قطاع الطرق[٤٣].

كنيسة التجلى

لقد أعاد جستنيان بناء كنيسة العليقة الملتهبة التى كانت قد تهدمت، وأدخلها ضمن كنيسته الكبرى التى أنشأها فى القرن السادس الميلادى وأطلق عليها اسم كنيسة القيامة، وبعد العثور على رفات القديسة كاترين فى القرن التاسع الميلادى، أطلق على هذه الكنيسة اسم كنيسة التجلى وعلى الدير دير القديسة كاترين[٤٤]

وبنيت كنيسة التجلى بحجارة ضخمة من الجرانيت المنحوت، طول الكنيسة ٤٠م وتشمل كنيسة العليقة المقدسة، وعرضها ١٩,٢٠م وتشمل الكنائس الفرعية (شكل٣) (لوحة٧، ٨) وأضيفت لها عدة توسيعات بعد ذلك و هى كنيسة طور سيناء التى تنقسم لثلاثة أقسام:

١ – القسم الأول سقيفة مدخل مستعرضة(نارزكس)

يتقدم البازيليكا من الغرب وقد أضيف لها فى العصر الفاطمى (شكل٣ رقم ١٢)، ونصل لمدخل النارزكس[٤٥] عن طريق درج هابط يؤدى لدخلة معقودة تقع على محور الكنيسة يزخرف الجزء العلوى منها رسوم مسيحية حديثة لها باب خشبى من العصر الفاطمى القرن الحادى عشر الميلادى[٤٦] مكون من ضلفتين وللنارزكس مدخل آخر فى الناحية الشمالية، ويغطى النارزكس سقف مسطح أقل ارتفاعاً من سقف الكنيسة وعلى جدرانه مجموعة من الأيقونات القديمة التى نجت من حرب الأيقونات فى القرن الثامن الميلادى[٤٧].

٢ – القسم الثانى (الرواق الأوسط والرواقان الجانبيان)

وبالجدار الشرقى للنارزكس يوجد باب خشبى يعود للقرن السادس الميلادى من خشب الأرز اللبنانى يؤدى لصالة البازيليكا (شكل ٣ رقم ١)، والباب مكون من أربع ضلف، فى كل ضلفة سبع حشوات تواجه بعضها بشكل متبادل ولقد وضعت بعمق داخل إطارات خشبية مزخرفة برسوم نباتات وعناقيد عنب وحيوانات وطيور مثل الطاووس[٤٨] واستخدم هذا الباب المركزى للرهبان أنفسهم حيث أن الكنيسة الأرثوذكسية تعتبر الرواق الأوسط والرواقان الجانبيان إمتداداً غربياً للمساحة التى يقام

.46- Williams(V. S.) And Stoks(P.): Blue Guide(Egypt), London ,1993,p.726

فيها القداس[٤٩] أما الحجاج والزوار للدير فكانوا يدخلون من الباب الشمالى للكنيسة المؤدى للرواق الشمالى، ثم يسيروا فى الرواق الشمالى تجاه الشرق إلى كنيسة العليقة الملتهبة ثم يعودوا للرواق الجنوبى[٥٠] ويرى د. بيتر جروسمان أن التخطيط الأصلى للكنيسة كان عبارة عن رواق أوسط ورواقين جانبيين والشرقية تجاه الشرق ولا يوجدحجرات جانبية، بمعنى أن المبنى الأصلى كان أصغر من المبنى الحالى[٥١] وصالة الكنيسة ٢٥م طول، ١٢م عرض، مكونة من رواق أوسط ورواقين جانبيين ويفصل الأروقة صفين من الأعمدة بكل صف ست أعمدة، والعمود مصنوع من حجر واحد من الجرانيت والعمودين الأخيرين ناحية الشرق أكبر حجما من باقى الأعمدة وطليت هذه الأعمدة بطلاء غطى على ألوانها الطبيعية[٥٢] والأعمدة صناعة محلية قطعت من محاجر تبعد ٢٠ كم عن الدير، وكسى الرهبان الأعمدة بالجبس عدا التيجان، والتيجان مختلفة بعضها تيجان كورنثية بأوراق عريضة وهى تشبه تيجان ذلك العصر وبخاصة أعمدة دير باويط بأسيوط[٥٣] وتحمل هذه الأعمدة عقود نصف دائرية يعلوها صف من النوافذ، وتضاء الأروقة الجانبية بنوافذ مزدوجة، ويسقف الرواق الأوسط جمالون خشب والحزام الخشبى الذى يحمل هذا الجمالون من القرن السادس الميلادى وبه النقش التأسيسى لبناء الدير، وتم تغطية هذا الحزام الخشبى بسقف مسطح فى القرن الثامن عشر الميلادى[٥٤] فى عهد كيرلس الثانى رئيس أساقفة كريت[٥٥] ويغطى الرواقان الجانبيان نصف جمالون مغطى من أعلى بصفائح الرصاص من القرن السادس الميلادى لا تزال بقاياه بالجزء الشرقى من الكنيسة، ولكن عام ١٩١١م قام الرهبان بتغييره بالصاج المجلفن التى تعرّض للصدأ وأحدث ثقوباً أدت لتسرب مياه الأمطار داخل الكنيسة[٥٦] وقامت هيئة الآثار المصرية عام ١٩٨٦م بأعمال ترميم تحت إشراف منطقة جنوب سيناء للآثار الإسلامية والقبطية[٥٧].

حيث أزيل الصاج المجلفن وركبت كسوة رصاص طبقاً لأسلوب تركيب ألواح الرصاص القديمة للحفاظ عليها من تسرب مياه الأمطار[٥٨]، وأخشاب السقف من خشب السرو المتوفر بالمنطقة حول الدير[٥٩] والعوارض الخشبية القديمة مدهونة باللون الأحمر والذهبى ومحفورة برسوم حيوانات ونباتات[٦٠]والأعمال الخشبية من

49-Forsyth(G.H.): The Monastery Of St. Catherine At Sinai – The Church And Fortress Of Justinian , DOP22, 1968, p. 10.

٥٢ – دير سيناء المقدس، المرجع السابق، ص ١٢.

.54-Williams(V.S.): op. cit., p.727

٥٦– المرجع نفسه، ص ٦ : ٧.

٥٧– أشرف على أعمال الترميم من منطقة جنوب سيناء مفتش الآثار / طارق النجار.

٥٨– دير القديسة كاترين، هيئة الآثار المصرية ١٩٨٦، ص ٧ : ٦.

59-Eckenstein(L.): A History Of Sinai , London , 1921,p.120.

أبواب وعوارض محفورة بمستوى عالى من المهارة الفنية نفذها حرفى غير محلى والمناخ الجاف حفظ لنا الأعمال الخشبية، وتتدلى من السقف ثريا مصنوعة فى القرن الثامن عشر الميلادى[٦١] وأرضية الصالة من الرخام من القرن الثامن عشر الميلادى يشبه الموجود بالمساجد بالقاهرة[٦٢]، والأمبون (المنبر) الخاص بالكنيسة يلاصق العمود الثالث شمالاً وأنشأ عام ١٧٨٧م وله درج حلزونى وحشوات خشبية مدهونة، أما كرسى المطران فيقع بجوار العمود الثالث جنوباً ويعود للقرن الثامن عشر الميلادى والذى استبدل بالكرسى الأصلى الموجود بحنية الكنيسة، ويوجد شمعدانات من البرونز بالرواق الأوسط أهديت للدير فى القرن الثامن عشر الميلادى[٦٣].

٣ - الإيكونستاسس

ترتفع أرضية الهيكل والمساحة أمامه Bema Or Presbyter ثلاث درجات ولقد أضيفت فيما بعد والإيكونستاسس هو الحجاب الذى يفصل الهيكل عن الصالة وهنا جوانبه من الرخام ويتضح ذلك فى الدرابزين السفلى[٦٤] والجزء العلوى منه من الخشب المغطى بصفائح الذهب مكتوب على بابه نص باليونانية ترجمته (تم صنع هذا الحاجز المقدس بجزيرة كريت فى أغسطس ١٦١٢م فى عهد الورنتيوس البطريق، وقد صنعه مكسيموس الراهب) وكان الورنتيوس رئيساً للأساقفة[٦٥]، ورسمت هذه الإيكونستاسس الخشبية فى القرن السابع عشر الميلادى بواسطة الرسام جرميا من كريت وأهديت للدير بواسطة البطريرك كوزماس من كريت أيضاً، والإيكونستاسس تتكون من أربع حشوات من الخشب، المذهب متوجة بصليب كبير يحمل شكل السيد المسيح مرسوم بألوان فاتحة ومحاط بأيقونتين، وبها أيقونات كبيرة للقديس يوحنا المعمدان، العذراء والسيد المسيح، القديسة كاترين[٦٦] ويعلوهم صف آخر من الأيقونات الأصغر حجماً وأمام الإيكونستاسس ست شمعدانات تعود لأعوام ١٧٠١-١٧١٦-١٧١٩ م ثلاثة فى كل جانب من جوانب الباب[٦٧].

٤ - الهيكل

يدخل له من باب خشبى مطعم بالأحجار الكريمة وعليه أيقونة للقديسة كاترين بالذهب، وهو إهداء من عائلة ملكية روسية، وتتصدر الشرقية جداره الشرقى وهى حنية أعمق من النصف دائرية العادية، وغلفت من الخارج بغلاف مربع قوى[٦٨] وغطيت الشرقية من الخارج بألواح رصاص فى القرن الثامن عشر الميلادى وهى الموجودة حتى الآن[٦٩] ويوجد بالشرقية الثرونوس أو منصة الخطابة Tribune بوسطه كرسى

64-Grossmann(P.): op. cit., p. 35.

٦٥- فتحى رزق : رباعية سيناء، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٢٨٨.

.67-Williams(V.S.): op. cit., p.727

.68-Grossmann(P.): op. cit., p. 35

المطران الرخامى الأصلى المنقول من صالة الكنيسة، ولقد تغير فى القرن الثامن عشر الميلادى مستعملين سطح رخامى محفور على قاعدة تستند على عمود[٧٠] ويغطى الشرقية نصف قبة، ويوجد بعقد الشرقية من القرن السادس الميلادى. ويعلوها زوج من النوافذ المعقودة، وتقع منضدة المذبح أمام الشرقية وهى من الرخام المطعم باللؤلؤ محمولة على ست أعمدة صنعها فنان من أثينا فى القرن السابع عشر الميلادى[٧١] تم تغطيتها بمظلة خشبية مطعمة بالصدف من القرن السابع عشر الميلادى، ويحوى الهيكل تابوتان من الفضة رسم على غطاء كلاً منهما صورة القديسة كاترين مصنوعة من الذهب الخالص المرصع بالأحجار الكريمة، التابوت الأول إهداء من قيصر روسيا بطرس الأكبر عام ١٦٨٨م، والثانى إهداء من إسكندر الثانى ١٨٦٠م، واستخدما التابوتان فى حفظ الهدايا الثمينة، وهناك تابوت آخر تحت قبة المظلة التى تقع على يمين المذبح، يحوى صندوقين من الفضة أحدهما يضم جمجمة القديسة كاترين يحوطها تاج ذهبى مرصع بالجواهر، والآخر يضم يدها اليسرى[٧٤] وتزينها الخواتم الذهبية المرصعة بالأحجار الكريمة[٧٢].

٥ – فسيفساء القرن السادس الميلادى

يغطى الجزء العلوى من نصف قبة الشرقية فسيفساء تمتد إلى الجزء العلوى من الجدار الشرقى تصور تجلى السيد المسيح المخصصة له كنيسة التجلى، وتعتبر من أقدم وأجمل فسيفساء فى الشرق، مصنوعة من قطع صغيرة من الزجاج متعددة الألوان يسودها اللونان الأحمر والأزرق على خلفية من الذهب المعتم، وتعود لوقت إنشاء الدير وهى من عمل فنان من مركز حضارى ربما يكون القسطنطينية[٧٣]، ويقول كروزيمر Krautheimer أن هذه الفسيفساء ربما تكون قد صنعت فى ورشة فى غزة أو جلبت من غزة أو القسطنطينية[٧٤].

أما التكوين الفنى للوحة فلقد أجاد الفنان فى تصميمها بواقعية تتفق مع نص الإنجيل حيث نجد السيد المسيح واقفاً فى وسط هالة بيضاوية الشكل عن يمينه النبى إيليا وعن يساره النبى موسى وكلاهما يرفع يده اليمنى إيماءاً لمخاطبة السيد المسيح، وصوّر الفنان تلاميذ المسيح يوحنا ويعقوب راكعان على الجانبين بينما بطرس مستلق عند قدمى المسيح، والزخارف التى تزين الإطار الخارجى للتصويرة عبارة عن إطار بداخله دوائر متماسة تتضمن بورتريهات (صور شخصية) لتلاميذ المسيح الإثنى عشر الحواريين وستة عشر شخصية من الأنبياء والكاهن (لونجينوس) التى تذكر الكتابة

71-Kamil Jill : op. cit., p.47.

٧٢– رؤوف حبيب: الموجز التاريخى عن الكنائس القبطية القديمة بالقاهرة، القاهرة، ١٩٧٩، ص ١٤١.

73-Weitzmann(K.): Studies In The Arts At Sinai , Princeton , 1982, p.6

74- Krautheimer(R.): Early Christian And Byzantine Architecture , Britain , 1965 , p.195

التذكارية أسفل باطن عقد الحنية أنه رئيس الدير الذى تم تنفيذ زخرفة الفسيفساء فى عصره[٧٥] وتعكس هذه الفسيفساء أسلوب القسطنطينية فى القرن السادس الميلادى، متمثلة فى الخطوط المتعرجة الصارمة – ملامح الوجوه – الخلفية المتألقة – الغموض[٧٦]

٦ – الحجرتان على جانبى الشرقية

تنخفض أرضيتهما عن أرضية الكنيسة، ويدخل إليهما عن طريق حجرتين مستطيلتين شمال وجنوب الهيكل ولكل حجرة حنية صغيرة خاصة بها ويسقفها قبة، الحجرة الشمالية (شكل ٣ رقم ٢) لإعداد العشاء الربانى والجنوبية (شكل ٣ رقم ٣) كأرشيف ولتجميع هدايا الكنيسة وكنوز الدير، والآن تستعمل الحجرتان كنائس صغيرة جانبية وتم عمل حنيات عديدة فى الجدران تعود لفترة تالية[٧٧].

٧ – كنيسة العليقة الملتهبة

الكنيسة الحالية أنشئت فى العصر الإسلامى (شكل٣ رقم ١٣) لتحل محل كنيسة العليقة القديمة من القرن الرابع الميلادى – والذى أعاد بنائها جستنيان فى القرن السادس الميلادى وتهدمت – التى أنشئت عند الشجرة المقدسة والذى يقول عنها ثيتمار Thietmmar الرحالة الألمانى الذى زار سيناء عام ١٢١٦م أن هذه الشجرة أخذت بعيداً وتم تقسيمها بين المسيحيين ليحتفظوا بها كذخائر ثمينة[٧٨] وهذا النوع من نبات العليق لم يوجد فى أى مكان آخر بسيناء، وهو [illegible] ولا يعطى ثمار، ويوجد فى الجدار الجنوبى للحجرة الشمالية – من الحجرات على جانبى الشرقية – باب يؤدى لكنيسة العليقة التى تنخفض أرضيتها ٧٠سم عن أرضية كنيسة التجلى، مساحتها ٥م طولاً ٣م عرضاً وتحوى مذبح دائرى صغير مقام على أعمدة رخامية فوق بلاطة رخامية تحدد الموقع الحقيقى للشجرة، ويقال أن جذورها لا تزال باقية فى هذا الموقع[٧٩]، والآن توجد شجرة عليقة بالدير أصلها داخل الكنيسة وأغصانها خارجها، ولا يدخل هذه الكنيسة أحد إلا ويخلع نعليه خارج بابها تأسياً بنبى الله موسى عليه السلام عند اقترابه من العليقة[٨٠]

ولكنيسة العليقة مذبح من القرن الرابع الميلادى إلى أن كنيسة جستنيان فى القرن السادس الميلادى لم تشمله وظل فى فناء فى النهاية الشرقية، وفى العصر الإسلامى تم عمل سور وأدخل هذا الفناء فى مبنى الكنيسة الرئيسية وأعيد بناء كنيسة العليقة وبها شرقية ذو تجويف مغطى بنصف قبة، وغطى الجانب الشرقى من الكنيسة بالكامل

٧٥– فتحى خورشيد: تاريخ الفن الساسانى والبيزنطى، كلية الآداب – جامعة عين شمس، ص ٤٠: ٤١

77-Grossmann(P.): op. cit.,p. 35.

.79-Kamil Jill : op. cit., p.50

٨٠– نعوم شقير : المرجع السابق، ص ٢٣٠.

ببلاطات القاشانى التركى فى القرن السابع عشر الميلادى[٨١] المجلوبة من دمشق، كما يزخرف تجويف الحنية الفسيفساء[٨٢] وبها أمبون من الخشب يجلس عليه مطران الدير، وقد كتب على ذراعيه بالصدف المعشق فى الخشب اسم واقف هذا الأمبون وتاريخ وقفه له نصه (وقف الفقير إبراهيم مسعد الحلبى لدير طور سيناء المعمور سنة ١٧١٣م)[٨٣].

٨ – الكنائس الجانبية

هناك ظاهرة غير عادية بكنيسة التجلى تتمثل فى وجود أربع كنائس صغيرة على كل جانب تفتح على الأروقة[٨٤] ويخالف فورسيز Forsyth رأى د. جروسمان – الذى ورد فى وصف القسم الثانى من كنيسة التجلى– ويرى أن الكنائس الجانبية جزء من التخطيط الأصلى ونظام هذه الكنائس وترتيبها المتوازن يظهرهم وكأنهم أروقة جانبية إضافية وهو شئ استثنائى فى هذه الفترة وهى تشبه كنائس الأديرة المتأخرة فى الغرب حيث كانت توزع الكنائس الصغيرة بشكل منتظم على طول الأروقة، مثل كنيسة St. Gall[٨٥].

والكنائس الجانبية بدير كاترين تنقسم لمجموعتين، الأولى تفتح على الرواق الشمالى، والثانية تفتح على الرواق الجنوبى، المجموعة الأولى وتتكون من ثلاث كنائس شمال الرواق الشمالى وكنيسة شمال كنيسة العليقة وهى كلاّتى من الغرب للشرق، كنيسة القديسة مارينا St. Marina، كنيسة قسطنطين وهيلانة Constantine And St. Helen، كنيسة القديس انتيباس St. Antipas، كنيسة جيمس الأصغر St. James The Less وتقع شمال كنيسة العليقة وغطيت بقبة وبها بقايا رسومات فى الحنية.

المجموعة الثانية وتتكون من أربع كنائس جنوب الرواق الجنوبى وكنيسة جنوب كنيسة العليقة وهى كلاّتى من الغرب إلى الشرق، كنيسة القديسين كوزماس ودميان St. Cosmas And Damian وهى موقع البرج الجنوبى، كنيسة القديس سميون St. Symeon، كنيسة القديس يواكيم وحنة والدىّ السيدة العذراء St. Joachim Anne And St، كنيسة الكنز القديم Old Treasry كنيسة الآباء المقدسين The Holy Fathers وتقع جنوب كنيسة العليقة وتغطيها قبة وبها باب بالناحية الشمالية الشرقية يؤدى لكنيسة العليقة[٨٦].

.84-Mango(C.):op. cit., p.158

٩ – برج الناقوس

بناه راهب من سيناء يسمى غريغوريوس عام ١٨١٧م (لوحة٧) ويشمل تسع أجراس معدنية مهداه من الكنيسة الروسية عام ١٨١٧م، وجرس خشبى قديم يستخدم يومياً، أما الأجراس المعدنية فتستخدم فى الأعياد(٨٧).

الكنائس الفرعية داخل الدير

توجد عشر كنائس صغيرة Chapels داخل الدير وهى كالآتى:

١ – كنيسة الشهداء الخمسة وتقع جنوب كنيسة التجلى وهى مخصصة للقديسين St. Eustratius , St. Euxemius , St. Eugenius , St. Martharius , St. Orestes

٢ – كنيسة العذراء المقدسة وتقع جنوب غرب كنيسة التجلى

٣ – كنيسة هجوع السيدة العذراء Dormition وتقع فى نفس مبنى كنيسة العذراء ولكن فى الدور الأول واستخدمت فى وقت ما سكن للمطران، وهى تعرف أيضاً بالمكتبة القديمة.

٤ – كنيسة القديس إسطفانوس St. Stephen وهو مبنى أصفر يقف بمفرده جنوب كنيسة هجوع السيدة العذراء وتستخدم للخدمات الجنائزية فى الدير

٥ – كنيسة القديس أنطونى St. Antony وتقع فى مقابل السلم المؤدى لغرف الضيوف، وكانت منذ وقت بعيد جزء من المكتبة

٦ – كنيسة يوحنا المعمدان St. John The Baptism وتقع قرب كنيسة القديس أنطونى

٧ – كنيسة التلاميذ المقدسين The Holy Apostles وتقع أسفل كنيسة يوحنا المعمدان

٨ – كنيسة القديس جورج St. George وتقع عند قمة الجدار الشمالى للدير، شيدها مهندسو نابليون

٩ – كنيسة القديس جون اللاهوتى St. John Theologion وتقع غرب كنيسة القديس جورج

١٠ – كنيسة القديس تريفون St. Tryphon. وتقع فى فناء الدير فوق حجرة الدفن وخصصت للقديس تريفون عام ١٨٨٨م، وتقدم الخدمات بها كل جمعة أثناء الصوم الكبير(٨٨).

مبانى الخدمات بالدير

تشمل مبانى الخدمات، حجرة الطعام – معصرة الزيتون – معمل للخمر – مخازن الغلال والمؤنة – طاحونتان وفرنان – آبار الدير – المكتبة – حديقة الدير – معرض الجماجم.

١ – حجرة الطعام

يطلق على قاعة الطعام فى الدير (المطعمة) وتقع حجرة الطعام refectory بدير كاترين جنوب شرق كنيسة التجلى (شكل١ رقم ٢٦)، ويدخل إليها من فتحة مدخل

87-Papaioannou Evangelos : The Monastery Of St. Catherine , Athens , p. 26.

بجدارها الشمالى يعلوها عتب ونفيس وعقد عاتق، وهى حجرة مستطيلة ذو سقف معقود بالأسلوب القوطي (سقف قوطى مدبب) ولها شباك بالجهة الغربية، ولقد بنيت فى العصر الإسلامى[٨٩] وربما استخدمت هذه القاعة أيضا نزل للحجاج أو كنيسة حيث يوجد بها شرفية بها رسوم جدارية تعود للقرن السادس عشر الميلادى تصور زيارة السيد المسيح للبطريرك إبراهام، كما يزخرف العقود بعض الرموز للصليبيين ورسوم لأغطية أذرع رسمها حجاج العصور الوسطى[٩٠] وبوسط الحجرة منضدة طويلة من الخشب صنعت فى كيركيرا فى القرن السابع عشر الميلادى[٩١] وهى محفورة بصور الملائكة وزهور بأسلوب الركوكو[٩٢] واستخدمت هذه الحجرة لقرون طويلة حجرة طعام للرهبان وحجاج العصور الوسطى[٩٣] والمائدة لها أهمية كبيرة بالأديرة حيث يجلس حولها الرهبان عادة يوم الأحد بعد صلاة القداس يتناولون وجبة الأغابى وتعنى باليونانية وجبة المحبة[٩٤] وكان يلحق بقاعة المائدة وحدات أخرى كالمطبخ والمخازن و الأفران وغيرها[٩٥] وهى الموجودة بدير كاترين.

٢ – معصرة الزيتون

تقع أسفل المسجد وتمتد حتى الساحة التى أمامه، لها سقف من عروق خشبية وأحزمة من القصب، يرتكز على عقود من الجرانيت، وبها شخاشيخ لإنارتها تقع فى الجزء أسفل الساحة الممتدة أمام المسجد[٩٦] وتمت أعمال ترميم لمبنى المعصرة بواسطة هيئة الآثار عام ١٩٨٦. ويقع غرب كنيسة التجلى معمل الخمر ومخازن الغلال، وشرق الكنيسة طاحونتان وفرنان ومطبخ عام.

٣ – آبار الدير

يوجد عدة آبار داخل أسوار الدير منها بئر موسى شمال كنيسة التجلى وهى بئر قديمة مطوية بالحجر، قيل هى أقدم من الدير وأنها البئر التى سقى منها نبى الله موسى غنم بنات الرجل الصالح شعيب المذكور فى التوراة باسم يثرون[٩٧]، وبئر العليقة بجانب العليقة الملتهبة، وهى بئر عميقة مطوية بالحجر، قيل أيضا أنها أقدم من الدير، وبئر اسطفانوس جنوب غرب كنيسة التجلى وجنوب كنيسة اسطفانوس، وماؤها عذب

89-Skrobucha(H.): op. cit., p. 91.

90-Kamil Jill : op. cit., p. 52.

٩١- أثاناسيوس باليوراس : دير سيناء المقدس، دير سانت كاترين، ١٩٨٦.ص ٣٣.

92-Kamil Jill : op. cit., p.52

93-Meinardus(F.A.): op. cit., p.534.

94-Stavropoulos(D.N.): op. cit., p.3

٩٥ – مصطفى عبد الله شيحة : المرجع السابق، ص ٧٦.

٩٦- دير القديسة كاترين، المرجع السابق، ص ١٣.

٩٧- خروج ص ٢ عدد ١٧

فهى التى يشرب منها الرهبان، وفى تقاليدهم هى البئر التى حفرها اسطفانوس مهندس الدير وبجانبها شجرة سرو كما يوجد ثلاثة آبار وثلاثة عيون بالحديقة خارج أسوار الدير[٩٨].

٤ – مكتبة الدير

المكتبة هى وحدة معمارية داخل الدير، لها أهمية كبيرة لدى الرهبان من الناحية الروحية والعلمية حيث يقضون معظم أوقاتهم فى قراءة الكتب الدينية والكهنوتية، وتقع فى الدور الثالث من بناء قديم جنوب كنيسة التجلى، مكونة من ثلاث غرف فى صف واحد وكانت الحجرة الوسطى من قبل مجلساً للرهبان، وتحوى المكتبة حوالى ستة آلاف مخطوط بالإضافة لألف كتاب حديث[٩٩] منها ٢٣١٩ مخطوط يونانى ٢٨٤ مخطوط لاتينى، ٦٠٠ مخطوط عربى، ٨٦ مخطوط جورجيانى، بالإضافة إلى المخطوطات السوريانية – القبطية – الأثيوبية – السلافية[١٠٠] – الأمهرية – الأرمينية – الإنجليزية – الفرنسية – البولندية، وهى مخطوطات دينية – تاريخية – جغرافية – فلسفية، وأقدم هذه المخطوطات يعود للقرن الرابع الميلادى[١٠١] وبعض هذه المخطوطات كتبت فى سيناء وبعضها من فلسطين – سوريا – اليونان – إيطاليا وبعضها يحمل أسماء الناسخين دون الإشارة لمكان مثل سليمان الشماس – جورج – نيكولاس فى القرن الثانى عشر والثالث عشر الميلادى[١٠٢] وبالمكتبة ألف وثيقة تحمل تطور الخط العربى الديوانى بين القرن الثانى عشر والتاسع عشر الميلادى[١٠٣]

وأقدم مخطوط بالمكتبة هى التوراة اليونانية المعروفة باسم كودكس سيناتيكوس codex Sinaiticus وهى نسخة خطية غير تامة من التوراة اليونانية[١٠٤] كتبها أسبيوس أسقف قيصرية عام ٣٣١م تنفيذاً لأمر الإمبراطور قسطنطين، ثم أهداها جستنيان للدير عام ٥٦٠م[١٠٥] واكتشفها فى الدير تشيندروف(الروسى الجنسية) عام ١٨٦٩م فى عهد المطران كالستراتس، وحملها إلى بطرسبورج وعرضها على اسكندر الثانى قيصر روسيا فاشتراها من الدير بثمانية آلاف فرنك وطبع منها عدة نسخ وأرسل للدير نسخة وظل الأصل عنده[١٠٦] حتى عام ١٩٢٣م حين باعتها الحكومة الروسية للمتحف البريطانى مقابل مائة ألف جنيه استرلينى[١٠٧] وبالمكتبة الإنجيل

٩٨– نعوم شقير : المرجع السابق، ص ٢٣٨: ٢٣٩.

١٠٠– أحمد فخرى : المرجع السابق، ص ١٢٢.

١٠١– عبده مباشر : المرجع السابق، ص ١٥٨.

102 Nicolopoulos(P.): The Library And The Archive , In -Treasures Of The Monastery Of St. Catherine , Athens, 1990 , p. 352

١٠٣– أحمد فخرى : المرجع السابق، ص ١٢٢.

١٠٤– نعوم شقير : المرجع السابق، ص ٢٣٦.

١٠٧– منولى نور : المرجع السابق، ص ١٥٨.

السريانى المعروف باسم (بالمست) وهى نسخة خطية غير تامة من الإنجيل باللغة السريانية مكتوبة على رق غزال، قيل هى أقدم نسخة معروفة للإنجيل باللغة السريانية، ويظن أنها مترجمة عن أصل يونانى فى القرن الثانى الميلادى[١٠٨]، وبالمكتبة العهدة النبوية وهو كتاب العهد الذى كتب للدير فى عهد نبى الله محمد عليه الصلاة والسلام وكان الأصل محفوظاً فى الدير إلى أن فتح السلطان سليم مصر ١٥١٧م فأخذ الأصل وأعطاهم نسخة معتمدة منه مع ترجمتها بالتركية، وفى المكتبة الآن عدة نسخ منها بعضها على رق غزال وبعضها على ورق متين وبعضها فى دفتر خاص. وهو العهد الذى يؤمّن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب على أموالهم وأنفسهم وممتلكاتهم[١٠٩] كما تحوى المكتبة عدد من الفرمانات من الخلفاء المسلمين لتأمين أهل الكتاب، كما تحوى فهارس للكتب اليونانية والعربية والسريانية[١١٠].

ولقد بدأت دراسة وثائق دير كاترين عام ١٩٥٠م حين قامت بعثة علمية مشتركة من كلية الآداب بالإسكندرية ومكتبة الكونجرس الأمريكية بتصوير أهم المخطوطات والوثائق، وكان على رأس هذه البعثة د. عبد الحميد العبادى أول عميد لاداب الإسكندرية، د. عزيز سوريال عطية، وقامت البعثة بعمل صور ميكروفيلم لأهم الأيقونات بالدير[١١١]، وفى عام ١٩٦٣ قامت بعثة جامعة الإسكندرية وعلى رأسها د.أحمد فكرى واشترك فيها د. جوزيف نسيم يوسف الذى زار سيناء مرتين آواخر عام ١٩٦٣، وأثمرت هذه البعثات عن دراسات وبحوث نشرت بالمجلات العلمية ومن هؤلاء الباحثين كورت فايتزمان Weitzmann Kurt،جورج فورسايث George Forsyth، عزيز سوريال عطية الذى قام بعمل فهارس كاملة مع دراسة تحليلية للمخطوطات العربية بالدير[١١٢] ولقد تم تصوير مليون ورقة مأخوذة من خمسة آلاف مخطوط ووثيقة مكتوبة بإثنى عشرة لغة، وقد احتفظت كلية الآداب بجامعة الإسكندرية ومكتبة الكونجرس بواشنطن بنسخ من صور الميكروفيلم[١١٣]، وبخصوص المخطوطات العربية بالدير الذى يبلغ عددها ٦٠٠ مخطوط فإنها تتناول دراسات تمتاز بقيمتها فى النواحى العلمية والتاريخية والفلسفية والفكرية والثقافية، وأهم ما يلفت النظر فى معظم المخطوطات العربية ذات الطابع المسيحى هو وجود التأثيرات العربية الإسلامية فيها وذلك بعد أن أصبحت سيناء تابعة للسيادة العربية الإسلامية حيث نجد

١٠٨- نعوم شقير : المرجع السابق، ص ٢٣٥.

110 -Nicolopoulos(P.) :op. cit., p. 354.

١١١- جوزيف نسيم يوسف : المرجع السابق، ص١٥٨.

١١٢- المرجع نفسه، ص ١٤٩: ١٥١.

١١٣- المرجع نفسه، ص ١٥٨.

أن كثير من المخطوطات العربية المسيحية تستهل بالبسملة وتختتم بالحمد لله وتؤرخ بالتقويم الهجرى، وتبدأ أسفار الكتاب المقدس عند المسيحيين فى كثير من المخطوطات كالآتى (بسم الله الرحمن الرحيم نبتدى بعون الله ونكتب أول سفر) كما أطلق على كثير من الرسل والقديسين المسيحيين اسم المصطفى بدلاً من كلمة البشير أو الإنجيلى كما إزدانت كثير من تلك المخطوطات وأغلفتها بنقوش ورسوم وزخارف على هيئة طيور وأزهار وتوريقات نباتية وإطارات على النسق العربى[١١٤].

٥- مبنى الإستراحة

يقع خارج سور الدير قرب المدخل وأقيم هذا المبنى عام ١٨٦٣م فى عصر الخديوى إسماعيل[١١٥] وقامت هيئة الآثار المصرية عام ١٩٨٦م بأعمال ترميم أعادت المبنى لوظيفته الأولى كاستراحة للسيدات من زوار الدير وأضيفت إليه حجرتين ووسائل الخدمة من دورات مياه وحمام ومغاسل مع الاحتفاظ بالصورة العامة للمبنى

٦ – حديقة الدير

للدير حديقة متسعة لها سور، بها أشجار فاكهة مثل التين – العنب – الخوخ – المشمش – الكمثرى – البرتقال، وأشجار الزيتون واللوز وأشجار السرو والصفصاف، بالإضافة إلى الخضروات والبقول والأزهار مثل الورد – القرنفل والريحان[١١٦]، وبالحديقة ثلاثة آبار وثلاثة ينابيع.

٧ – معرض الجماجم

يطلق على مقبرة الرهبان بالدير اسم الطافوس[١١٧] ويقع مدفن الرهبان ومعرض الجماجم فى وسط حديقة الدير ويدفن الرهبان موتاهم فى هذا المدفن ويتركون الجثث حتى تتحلل فينبشونها ويأخذون عظامها ويجعلونها فى معرض خاص قرب المدفن يطلق عليه كنيسة الموتى الذى يسمى الآن معرض الجماجم، وفى مدخل معرض الجماجم غرفة صغيرة فيها رفات الموتى من زوّار الروس وأهل الطور، والمعرض عبارة عن قبو متسع تعلوه كنيسة فى جزء منه، ورصت الجماجم بعضها فوق بعض كأنية الفخار، وفى الجزء الآخر باقى العظام والهياكل العظمية للرهبان معروضة كاملة من الرأس للقدم، أما هياكل المطارنة فقد وضع كل هيكل فى صندوق خاص أو فى عين فى الحائط ومنها رفات المطران حنانيا المتوفى ١٦٦٨م، والمطران أثناسيوس والمطران كالستراتس ١٨٨٥م، وعند باب هذه القاعة يساراً هيكل رجل مسن قد أجلسوه على كرسى وألبسوه ثياباً رثة وجعلوا فى يده سبحة حتى تخاله حياً حارساً للباب، قيل أنه هيكل القديس اسطفانوس أول بواب للدير فى أيام يوحنا اقليمقوس[١١٨]

١١٤- المرجع نفسه، ص ١٤٦.

١١٦- نعوم شقير : المرجع السابق، ص ٢٣٩.

وهناك يوم عند الرهبان يسمى يوم الأموات، وكذلك فى أيام السبت الخاصة بالصيام الكبير يقوم قسيس بأداء القداس فى بيت الجماجم[١١٩].

٥- الدور الحضارى للدير

حياة الرهبان بالدير

ينتمى رهبان الدير للكنيسة اليونانية واكتسب الدير استقلالاً كاملاً داخل الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية منذ عام ١٧٨٢م[١٢٠] وكانت سيناء وجنوب فلسطين تابعة لبطريركية القدس[١٢١] وفى أوقات عدم الاستقرار فى الشرق الأوسط كانت تنتقل تبعيتها لبطريرك الإسكندرية[١٢٢]، أما هيئة رجال الدين بالدير فتتألف من المطران وخمس قساوسة وشماس واحد، وعدد من الرهبان الجدد يتراوح بين أربعة وثمانية خلاف الخدم غير المترهبين، ويقيم المطران بالدير وهو التى يتولى إدارته، يساعده فى ذلك مجمعاً يتكون من نائب وأمين صندوق وأمين مخازن، وفى حالة غياب المطران حيث كانت تطّره الظروف إلى التواجد بالقاهرة لأعمال تتعلق بطائفته، يحل محله النائب[١٢٣] والرهبان مجلس خاص يحكم بأكثرية الأصوات وهذا المجلس ينتخب المطران، ويكرسه بطريرك القدس، وإذا وقع بين المجلس والمطران خلاف يقوم بطريرك القدس بالفصل فى هذا الخلاف، فإذا لم يرضوا بحكمه رفعوا أمرهم لبطريرك القسطنطينية وحكمه نافذ ولقب مطران الدير الرسمى (مطران جبل طور سيناء وفيران والطور)[١٢٤].

وكان من بين رهبان الدير مصريين - فلسطينيين - سوريين - أرمينيين - جورجيين، وكانت هناك حركة متبادلة بين سيناء والمناطق المجاورة، حيث أن عديد من الرهبان استقروا فى سيناء فى وقت معين ثم انتقلوا لأماكن أخرى اشتهروا فيها، أمثال الراهب سلفانوس وجون موسفيوس اللذان عاشا فى سيناء ثم اشتهروا بفلسطين[١٢٥] وكان بالدير كنائس للطوائف المختلفة للسوريين والأرمينيين والقبط واللاتينيين، لكنهم هجروا كنائسهم. وظلت كنيسة اللاتينيين موجودة حتى القرن السابع عشر الميلادى[١٢٦] وساد الرهبان الأرمن فى القرن الثامن والتاسع الميلادى، وبعدهم اللاتينيين، ووقت زيارة نعوم شقير للدير ١٩٠٥م كان جميع رهبان الدير من اليونانيين على مذهب الروم الأرثوذكس ومعظمهم يتكلمون العربية، وكان بينهم راهب

١١٩- جوزيف نسيم يوسف : المرجع السابق، ص ١٣٥.

120 -Williams(V.S.): op. cit., p.724

122- Skrobucha(H.): op. cit., p.94.

١٢٣- جوزيف نسيم يوسف : المرجع السابق، ص ٢٤٩ : ٢٥٠.

١٢٤- نعوم شقير : المرجع السابق، ص ٢٤٩ : ٢٥٠.

125- Finkelstein(I.): op. cit., p.332.

126- Burckhardt(J.L.) : Travels In Syria And The Holy land , London , 1822. p. 307

روسى توفى عام ١٨٧٤م[١٢٧]، والآن معظم الرهبان من اليونانين والقليل جداً من جنسيات أخرى، أما مطارنة الدير فوصل عددهم ٥٣ مطراناً من عام ٨٦٩م حتى عام ١٩٠٤م أولهم المطران مرتضى وآخرهم المطران يورفيريوس الثانى، ووقت زيارة نعوم شقير للدير كان هناك عشرون راهباً داخل الدير وأربعون راهباً فى الجهات التابعة للدير خارج سيناء[١٢٨]. ويعمل الرهبان فى فلاحة الأرض أو أى أعمال أخرى داخل الدير، فمنهم النجار – الخباز – الطباخ – الخياط – البنّاء، وغذاؤهم الرئيسى من الأسماك والزيتون والبصل، ويصنعون خموراً من البلح تسمى عرق البلح، ويقضون أوقاتهم بين الصلاة والمكتبة والأعمال اليومية وخدمة الحجاج والمسافرين ويستيقظون على دقات أجراس بعدد سنين حياة السيد المسيح ٣٣ دقة[١٢٩].

علاقة الرهبان بالبدو

قامت العلاقة بين الرهبان والبدو على أساس الجيرة الحسنة والتعاون فيما بينهم فيقوم البدو بأعمال الحراسة وإحضار المؤن للرهبان من الطور ويأخذوا أجورهم إما نقداً أو عيناً[١٣٠] وما يزال التعاون بين الدير والرهبان حتى الآن، فتقوم قبيلة الجبالية بخدمة رهبان الدير داخل الدير، وآخرين يقومون بتأجير الإبل للسياح لصعود جبل موسى، وكان رهبان الدير يدفعون مبلغاً معلوماً لكل قبيلة من قبائل سيناء القوية القاطنة فى جوار الدير أو فى طريقه من مصر أو سوريا لأجل حمايتهم فى السفر والإقامة وحماية القوافل التى تنقل لهم الزاد والمؤنة من الخارج وكانت تسمى هذه القبائل خفراء الدير، ومنهم عرب السواركة، وكان الرهبان يعقدون شروطهم مع القبائل الخفراء فيصدّق عليها حاكم مصر ويضمن تنفيذها[١٣١] وكان للدير مركزاً فى ضواحى غزة يمده بالحبوب عن طريق التمد بوسط سيناء، ثم أهمل مركز غزة بعد استتباب الأمن فى مصر أيام محمد على باشا واكتفى بالمركز الموجود بالقاهرة، ويدفع الرهبان مرتبات سنوية للمشايخ الذى تمر القوافل فى بلادهم[١٣٢].

علاقة الرهبان بالقسطنطينية

بالرغم من وجود دير كاترين فى منطقة إسلامية إلا أن الاتصال بالقسطنطينية مركز الأرثوذكسية كان قوياً واتخذ أشكال متعددة، ولقد أظهر كل من مانوئيل كومثينوس وميخائيل باليورجوس وغيرهما من بطاركة كرسى القسطنطينية المسكونى اهتماماً بالغاً بكثير من الأمور المتعلقة بالدير وكذلك الشخصيات الهامة مثل يوحنا السينائى

١٢٧- نعوم شقير : المرجع السابق، ص ٢٤٩.

129-Skrobucha(H.): op. cit., p. 93.

١٣٠- حجاجى إبراهيم محمد : مقدمة فى العمارة القبطية الدفاعية، القاهرة، ١٩٨٤.ص ٣٢.

١٣١- نعوم شقير : المرجع السابق، ص ٥٤٣.

وجريجوريوس السينائى، فضلاً عن الاتصالات الفنية من خلال ما قدمه الرسامون المشاهير من روائع الأيقونات(١٣٣).

علاقة الرهبان بروسيا

اعتبر قياصرة روسيا أنفسهم وريثى الإمبراطورية البيزنطية، فاهتموا بالدير(١٣٤) وبالدير هدايا كثيرة من روسيا منها تابوت معدنى عليه نقوش بارزة تمثل القديسة كاترين قدمته إحدى أميرات روسيا عام ١٨٦٠م لوضع رفات القديسة إلا أن الرهبان رأوا بقاء الرفات فى تابوتها القديم، وتابوت معدنى آخر به نقوش بارزة من الفن الروسى يرجع للقرن السابع عشر الميلادى والتابوتان بهيكل كنيسة التجلى الآن.

علاقة الرهبان بالصليبيين والغرب

ضعفت العلاقة بالقسطنطينية فى فترة الصليبيين ١٠٩٦ – ١٢٧٠م، ولقد حضر الصليبيون فى البداية كزوار للدير، وفى القرن الثالث عشر الميلادى سكنت الدير مجموعة من الرهبان الصليبيون أو اللاتينيون، ولقد بنوا كنيسة خاصة بهم سميت سانت كاترين الفرنجة، وكان بينهم فنانون رسموا أيقونات لكنيستهم، وأصبح الدير ضمن البطريركية اللاتينية في القدس ووضع الدير تحت إشراف مطران البتراء، وكان مقره مدينة الكرك بالأردن(١٣٥) وفى وقت احتلال الصليبين للقدس عزم بلدوين الأول ملك أورشليم على زيارة الدير عام ١١١٧م وكان يحضر الصليبيون للدير كزوار فقط ولكن الرهبان رفضوا طلبه خوفاً على شعور الدولة الإسلامية حيث كانوا يعيشون فى ظل سماحتها(١٣٦).

دير كاترين ونابليون

عندما استولى نابليون على مصر عام ١٧٩٨م تسلم المدير والمنطقة المحيطة به لتكون تحت حمايته وذلك بطلب من رهبان الدير(١٣٧) واعترف نابليون فى منشور له كتبه للدير عام ١٧٩٩م بجميع الإمتيازات المالية الممنوحة للدير من قبل واعترف بالممتلكات الخاصة بالدير فى القاهرة وقبرص وأعفاهم من دفع الرسوم الجمركية على البضائع الصادرة والواردة التى تستعمل فى الدير(١٣٨) كما أمر نابليون بإصلاح الجدار القديم بالدير الذى تهدم بفعل زلزال فى بداية القرن الرابع عشر الميلادى وهناك نقش على الجدار بذلك.

١٣٣- أثاناسيوس باليوراس : المرجع السابق، ص ١٧ : ١٨.

134-Williams(V.S.): op. cit., p. 724.

135-Galley :(J.): op. cit., p. 14

136-Kamil Jill : op. cit., p. 30.

١٣٧- أثاناسيوس باليوراس : المرجع السابق، ص ١٧ : ١٨.

١٣٨- نعوم شقير : المرجع السابق، نص منشور نابليون ص ٥٣٧: ٥٣٨.

أملاك الدير ونفقاته

للدير أملاك عديدة فى سيناء وداخل وخارج مصر، ففى سيناء له بستان فى وادى طلاح قرب الدير وبستان فى جبل الفريع غرب الدير، ومركز وكنيسة ومدرسة بالطور، وبستان نخيل ومنزل بحمام موسى بالطور[١٣٩] ومقر بوادى فيران(دير البنات وهو يتبع دير سانت كاترين). وفى القاهرة له مركز بحى الظاهر فى مواجهة جامع الظاهر بيبرس وبه مقر للمطران يقضى فيه معظم الشتاء ومعه بعض الرهبان لتنسيق علاقات الدير مع حكومة مصر وتدبير المؤن والمعدات للدير، وبه كنيسة وحديقة واسعة، وفى السويس له مركز يقيم فيه راهب لتسهيل السفر للرهبان والزوّار، وله أراضى زراعية فى سريقاقوس وهبها له عباس باشا الأول بدلاً من عين وبستان كانت لهم فى الجبل والذى اختاره مصيف له قرب الدير، وله منزلان بالإسكندرية، أما خارج مصر فالدير يملك مركز فى طرابلس ودمشق وأربعة مراكز وثلاث كنائس بقبرص وأربع كنائس بكريت ومركز فى كلامس باليونان وكنيسة بالأستانة وأخرى فى بيتوليا بمقدونيا، وكنيسة فى يانينا جنوب ألبانيا ومركز فى كيف وكنيسة فى تفليس بروسيا[١٤٠]، وينفق الدير من أملاكه السابقة، وكان متوسط دخله عام ١٩٠٦م حوالى ستة آلاف جنيه مصرى تنفق على الرهبان والبدو وترميم الدير ولوازمه وزوّار الدير[١٤١]، وما يزال الدير يمارس دوره الحضارى حتى اليوم ويحظى برعاية الدولة فهو مسجل كأثر من آثار مصر فى العصر البيزنطى والخاص بطائفة الروم الأرثوذكس، بقرار وزير الثقافة رقم ٨٥ لسنة ١٩٩٣ كما تم تسجيله ضمن قائمة التراث العالمى باليونسكو عام ٢٠٠٢، ويقع الدير فى نطاق منطقة جنوب سيناء للآثار الإسلامية والقبطية وتمت اعمال ترميم به عام ١٩٨٦، كما قامت بعثة يونانية تحت إشراف المنطقة بأعمال ترميم لبرج القديس جورج بالجدار الشمالى الشرقى عام ٢٠٠١م وبه قاعة السكيفوفيلاكيون (وهو المكان المخصص لحفظ الأغراض الدينية من أيقونات، أوانى مقدسة، ثياب مقدسة) وتم إعدادها كقاعة عرض متحفى داخل الدير، ويجرى حالياً ترميم فسيفساء التجلى بواسطة بعثة إيطالية كما تمت أعمال حفائر جنوب شرق الدير كشفت عن مساكن حراس الدير الذى أرسلهم جستنيان فى القرن السادس الميلادى وأسلموا بعد ذلك، وتم السماح بمعارض خارجية لأيقونات ومخطوطات ومقتنيات الدير لعدة دول شملت اليونان، روسيا، الولايات المتحدة الأمريكية، إيطاليا أسبانيا ويوجد حالياً معرض لأيقونات ومخطوطات ومقتنيات الدير بالولايات المتحدة الأمريكية، وتتواصل أعمال الترميم والصيانة بصفة دائمة، ويزور

١٣٩- المرجع نفسه، ص ٢٤٥.

١٤٠- المرجع نفسه، ص ٢٤٥ : ٢٤٦.

١٤١- المرجع نفسه، ص ٢٤٧.

الدير سياح من كل الجنسيات منهم من يبقى لعدة أيام بفندق الدير ومنهم من يقضى ليلة واحدة يصعد خلالها جبل موسى لرؤية شروق الشمس من أعلى الجبل والتبرك بالمكان المقدس.

الخاتمة

تناول البحث تأريخ الدير على أسس أثرية تاريخية و عمارة الدير من منشئات مختلفة منذ القرن الرابع الميلادى والإضافات وأعمال الترميم عبر العصور ورصد الإضافات الهامة بالدير في العصر الإسلامى وتشمل:

١- إعادة بناء وتجديد كنيسة العليقة الملتهبة التى بنيت فى القرن الرابع الميلادى وتغطيتها بالكامل ببلاطات القاشانى التركى فى القرن ١٧م

٢- ترميم سور الدير بعد سقوطه فى زلزال ١٣١٢م

٢- فتح البوابة الحالية للدير بالجدار الشمالى الغربى فى نهاية القرن ١٩م

٣- إعادة بناء الجزء الشمالى من الجدار الشمالى الغربى فى منتصف القرن ١٩م من كتل الجرانيت والحجر الرملى والروابط الخشبية

٤- إنشاء بوابة المصعد فى القرن ١٦م وإعادة بنائها ١٨٦٠م وترميمها بعد احتراقها عام ١٩٧١م

٥- إنشاء قلايا الرهبان خلف الجدار الجنوبى الشرقى فى القرن ١٦م وتجديدها عام ١٨٧٠م

٦- إضافة باب خشبى لسقيفة المدخل المستعرضة(نارزكس) لكنيسة التجلى من العصر الفاطمى القرن ١١م

٧- تغطية السقف الجمالونى لكنيسة التجلى من الداخل بسقف مسطح من القرن ١٨م

٨- تغطية أرضية كنيسة التجلى بالرخام من القرن ١٨م يشبه الموجود بمساجد القاهرة

٩- إضافة الإيكونستاسس عام ١٦١٢م وهو الحجاب الذى يفصل الهيكل عن الصالة

١٠- تغطية الشرقية من الخارج بألواح الرصاص فى القرن ١٨م وهو الموجود حتى الآن

١١- إضافة منضدة المذبح بهيكل كنيسة التجلى فى القرن ١٧م

١٢- وضع ثريا كنيسة التجلى فى القرن ١٨م

١٣- إضافة أمبون(منبر) لكنيسة التجلى عام ١٧٨٧م وكرسى للمطران فى القرن ١٨م

١٤- إنشاء برج الناقوس عام ١٨١٧م

١٥ - إنشاء قاعة الطعام

١٦- إنشاء مبنى الإستراحة خارج سور الدير عام ١٨٦٣م فى عصر الخديو إسماعيل

١٧- الجامع الذى انشأه الأمير أبى المنصور أنوشتكين الآمرى فى عهد الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله ٥٠٠هجرية، ١١٠٦م

كما تم إبراز الدور الحضارى للدير وعلاقاته داخلياً وخارجياً وازدهاره واتساع أملاكه خصوصاً فى العصر الإسلامى، ودور مصر حالياً فى حماية وازدهار الدير لمواصلة دوره الحضارى عبر العصور.

قائمة الاختصارات

BASOR	Bulletin Of The American Schools Of Oriental Research
DOP	Dumbarton Oaks Papers
IEJ	Israel Exploration Journal

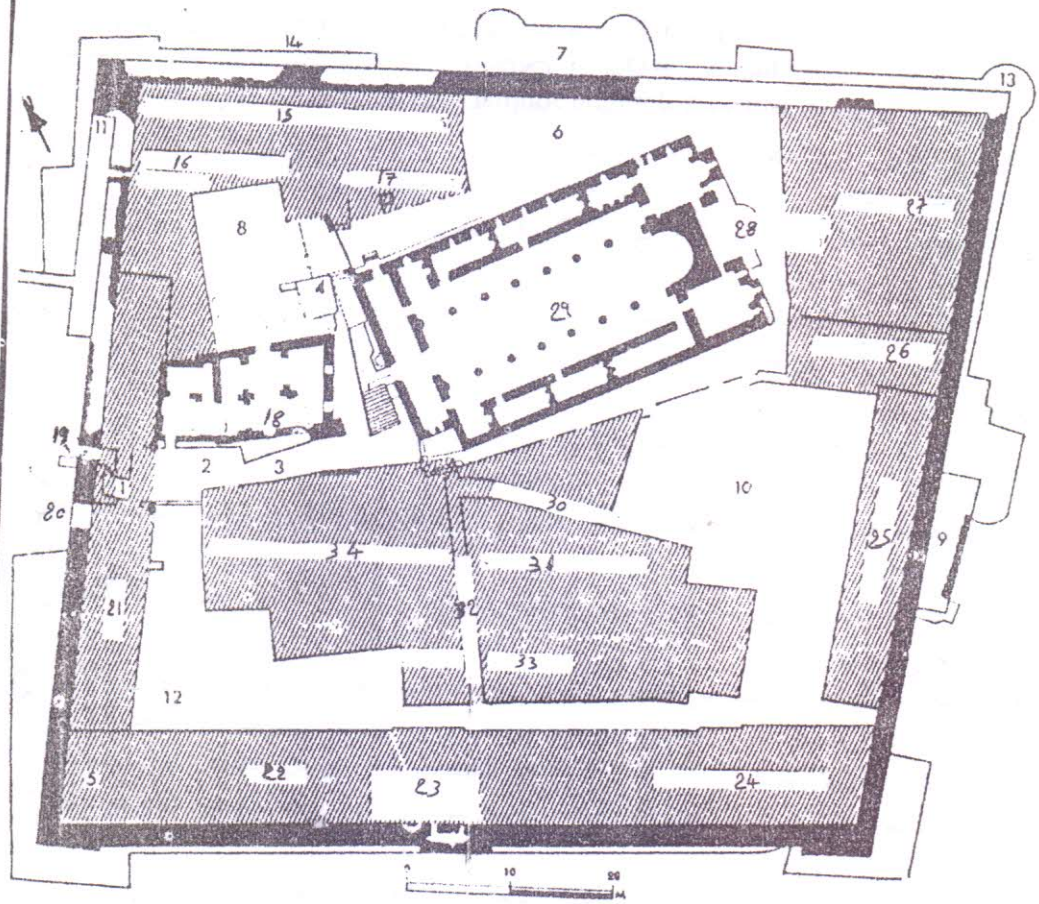

(شكل ١) مسقط أفقي لدير سانت كاترين

(شكل ١) مسقط أفقى لدير سانت كاترين

١- الفناء خلف المدخل المؤدى بالجناح الشمالى الغربى

٢- فناء داخلى

٣- ممر مقبى

٤- مئذنة الجامع

٥- الركن الغربى وبه عقود قديمة بالدور الأرضى وسكن المطران بالدور العلوى

٦- فناء مفتوح وحديقة

٧- برج مشيد بواسطة نابليون والدور العلوى كنيسة القديس جورج

٨- المساحة أمام المسجد وأسفلها معصرة الزيتون

٩- برج دورات المياه

١٠- مساكن رهبان وأسفلها المخبز

١١- موقع بوابة المطران

١٢- فناء مفتوح وبه بئر اسطفانوس

١٣- البرج الدائرى من إنشاء نابليون

١٤- السور والأبراج الذى أشيد بناؤها فى عصر نابليون

١٥- حجرات للخدمات

[illegible] صرف للحديقة

١٧- بئر موسى

١٨- المسجد الفاطمى

١٩- البوابة الحالية من القرن التاسع عشر الميلادى

٢٠- البوابة الرئيسة من القرن السادس الميلادى (مغلقة الآن)

٢١- نزل الضيوف

٢٢- نزل الضيوف

٢٣- كنيسة من القرن السادس الميلادى

٢٤- قاعة

٢٥- قلايا الرهبان

٢٦- قاعة الطعام الحديثة

٢٧- منطقة خدمات

٢٨- كنيسة العليقة الملتهبة

٢٩- الكنيسة الرئيسية (كنيسة التجلى)

٣٠- ممر مقبى

٣١- كنائس صغيرة ومخازن

نقلاً عن

-Finkelstein (I.) : Byzantine Monastic Remains In The Southern Sinai , DOP 39 , 1985, p.329 .

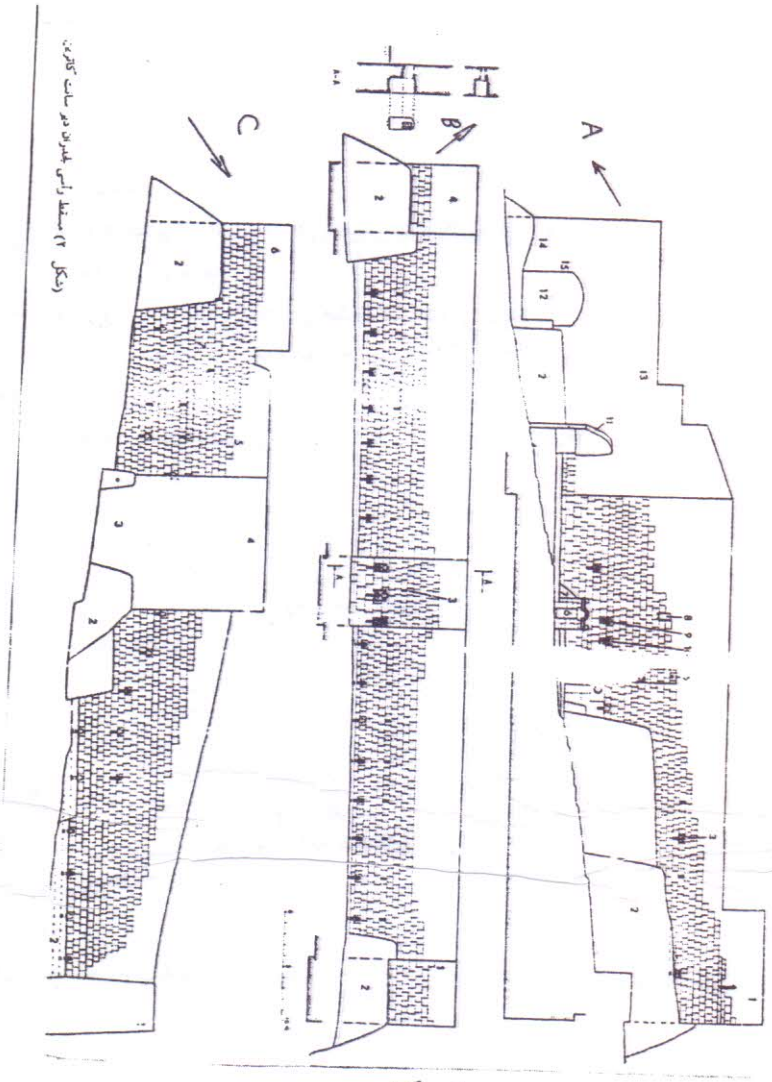

(شكل٢) مسقط رأسى لجدران دير سانت كاترين

A. الجدار الشمالى الغربى

B. الجدار الجنوبى الغربى

C. الجدار الجنوبى الشرقى

نقلاً عن

- Tsafrir (Y.):op. cit., figs.4-6.

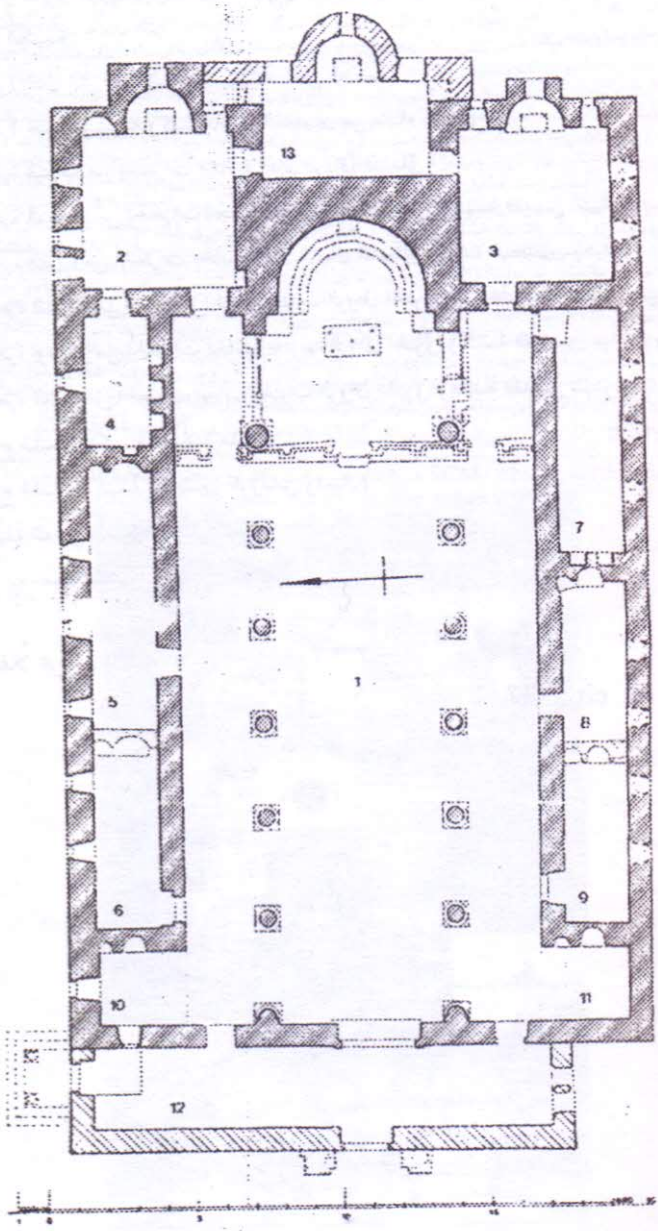

(شكل٣) مسقط أفقي للكنيسة الرئيسية (كنيسة الضحى) بدير سانت كاترين

(شكل٣) مسقط أفقي للكنيسة الرئيسية (كنيسة التجلي) بدير سانت كاترين

١- صالة الكنيسة

٢- الحجرة شمال الشرقية (كنيسة القديس جيمس الصغير)

٣- الحجرة جنوب الشرقية (كنيسة الآباء القديسين من سيناء ورايثو)

٤- الحجرة الشرقية من الحجرات الجانبية شمال الرواق الشمالي

٥- الحجرة الوسطى من الحجرات الجانبية شمال الرواق الشمالي (كنيسة القديس أنتيباس)

٦- الحجرة الغربية من الحجرات الجانبية شمال الرواق الشمالي (كنيسة قسطنطين وهيلانة)

٧- الحجرة الشرقية من الحجرات الجانبية جنوب الرواق الجنوبي وهي مخصصة لحفظ ذخائر الكنيسة

٨- الحجرة اوسطى من الحجرات الجانبية جنوب الرواق الجنوبي (كنيسة القديسين يواكيم وحنة)

٩- الحجرة الغربية من الحجرات الجانبية جنوب الرواق الجنوبي (كنيسة القديس سيمون)

١٠- البرج الشمالي (كنيسة القديسة مارينا)

١١- البرج الجنوبي (كنيسة القديسين كوزماس ودميان)

١٢- سقيفة المدخل المستعرضة (نارثكس)

١٣- [illegible] المنتهية

نقلاً عن

-Grossmann (P.) : op. cit.,p.37.

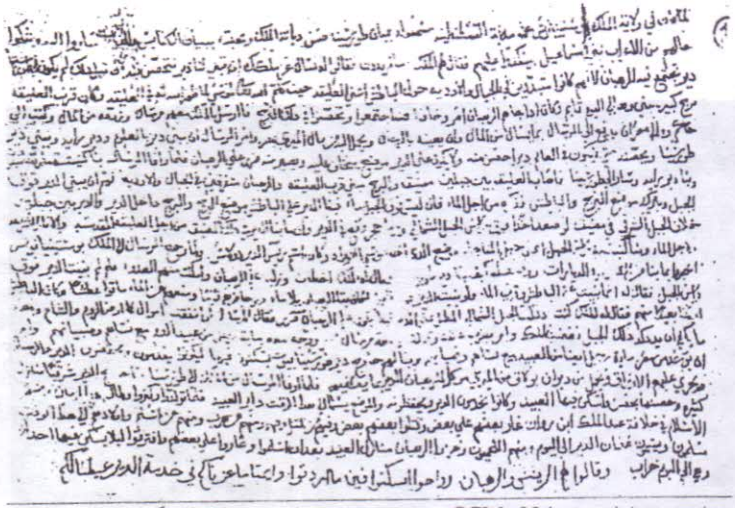

(لوحة ١) الوثيقة رقم SCM- 224 عن إنشاء دير سانت كاترين والمحفوظة بمكتبة الدير

(لوحة٢) مدخل الدير الحالي بالجدار الشمالي الغربي

(لوحة٣) النقش الكتابي الذي يعلو فوق مدخل القصر الخارجي

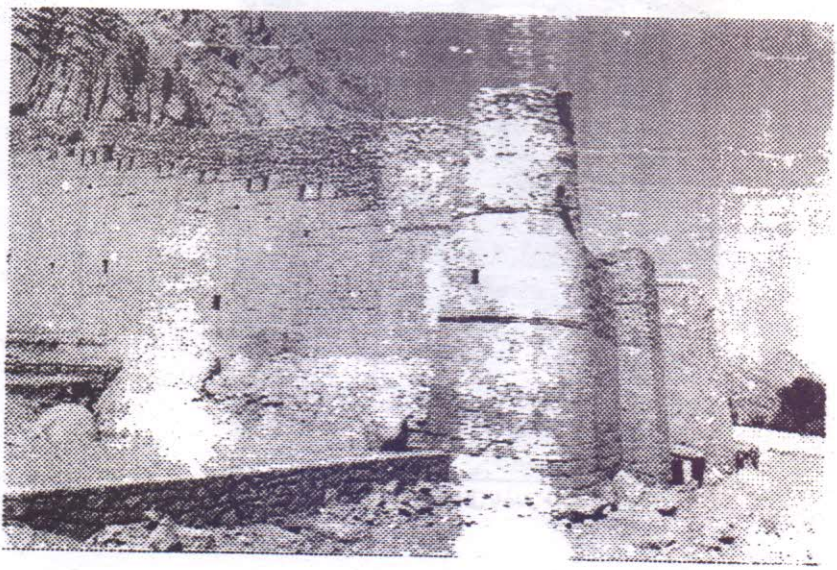

(لوحة٤) الجدار الشمالي والجزء الشرقي للقصر

(لوحة٥) الجدار الشمالي الشرقي من الداخل وتظهر المؤدى لشجرة العنيقة المثبتة

(لوحة٦) الجدار الخلفي الغربي المواجه لجبل موسى

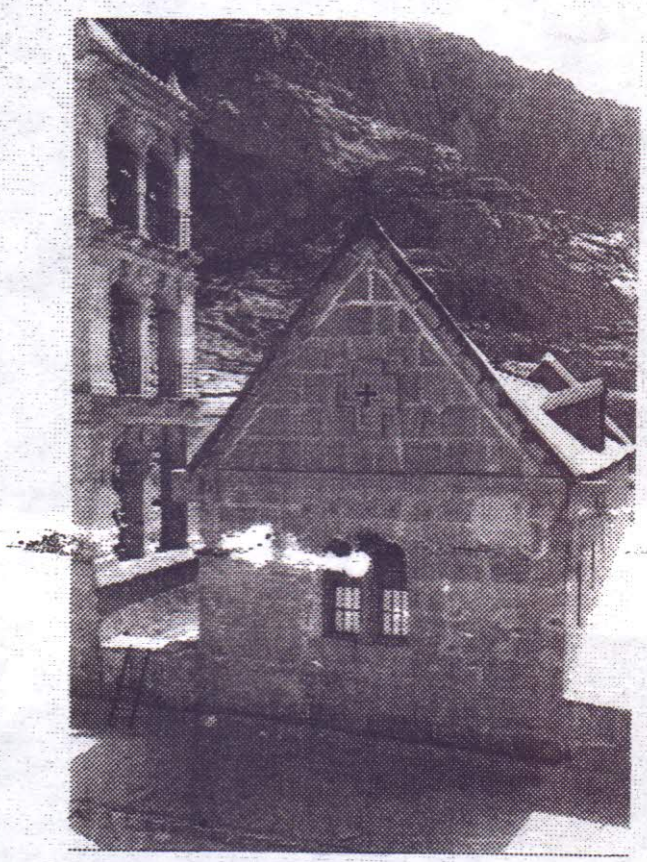

(لوحة٧) الجمالون الخشبي الذي يسقف القرواق الأوسط بكنيسة التجلي

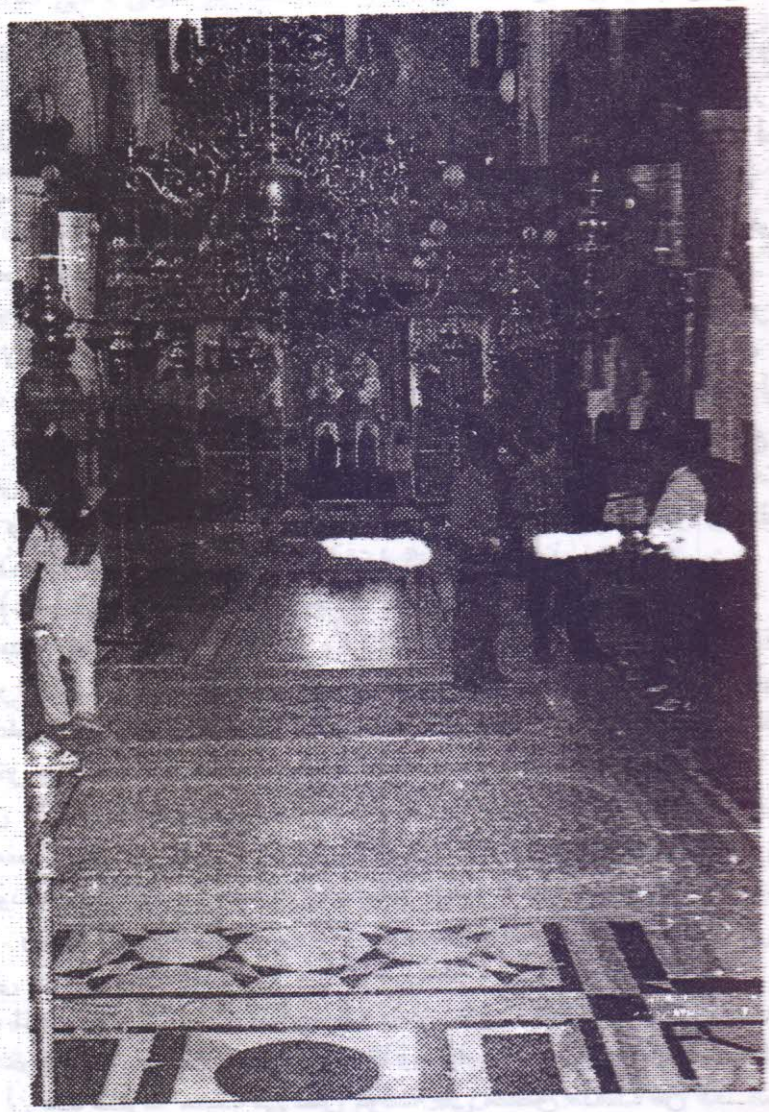

(لوحة٨) صالة كنيسة التجلي